

كتب تاريخية

عمر أوقات الخلاف

الإنجلوساكسونية

ـ 796 مـ 797



رقم خمسة اللاتيني

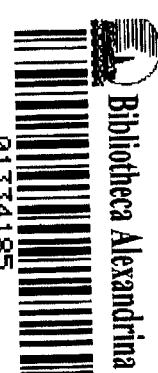
أبتدأ تابع العصبة الروسية المساعدة
في العطاء - جامعة أمير مط

كتب تاریخية

بعض اوقاصل المخطوطات
الانجلو سaxon في
٧٥٧ - ٧٩٦ م

دكتور
سلفون محمد اللقاني
أستاذ تاريخ المصادر والرسائل والمساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

توزيع // منتشر بالاسكندرية
بلال حزقي وشركاه



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتب تاريخية

عصر وفاصل العائلات
الإنجليز ساسون في
١٧٩٦ - ١٨٠٧

دكتور
محمود حسن محمد اللقاني
أستاذ تاريخ المصادر والعلوم المعاصرة
جامعة الزرقاء - الأردن



General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

توزيع // منتشرات
بملايين الأسكندرية
حملان حزقيا وشريكاه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين
أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا
نصارى ، ذلك بأنّ منهم قسيسين ورهبانا وأنّهم لا يستكرون ،
وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تقி�ض من الدمع
ما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين »

(المائدة : ٨٢ - ٨٣)

إهْدَاء

الى مُلَابِّ الْحَقِيقَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ

مصطفى حسن محمد الكتاني

الفنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله منطق الألسنة بتحميد صفاته ، وملهم الجنان الى
تقديس ذاته ، نحمده ونشكره ، ونستعينه ونتوب اليه ونستغفره ،
ونعود بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ٠ من يهد الله
 فهو المهتد ، ومن يضل فلن تجد له ولها مرشدًا ، اللهم لا علم لنا
الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ، ونشهد أن لا اله الا الله ،
وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ٠ اللهم حل
وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحابته ، ومن دعا بدعوته
واهتدى بهديه الى يوم الدين ، ثم أما بعد ٠

فالمعروف أن الجزيرة البريطانية قد ظلت على امتداد تاريخها
القديم في عزلة تامة عن القارة الأوربية ومؤثراتها الحضارية ٠
وبعد قيام الغزاة الرومان وسيطراً عليهم ، ارتبطت بريطانيا
الرومانية (٥٥٠ م - ٤٥٠ م) بمسار الأحداث في القارة الأوربية ،
ومنذ ذلك الحين فصاعدا ، وحتى نهاية العصور الوسطى عاشت
بريطانيا في ظل تطورات أوروبا الحضارية (١) ، ومن أهم مظاهر تلك
التطورات قيام البرابرة الانجليوساكسون إلى بريطانيا ، واقامتهم
مماليكم المشهورة على حساب البريطانيين السكان الأصليين لجزيرة ٠
ومنذئذ بدأ نمو واتكمال مقومات الامة الانجليزية على حد قول
البعض ، وعرفت بريطانيا باسم إنجلترا (٢) ٠

(١) نظير حسان سعداوى : تاريخ إنجلترا وحضارتها في العصور القديمة
والوسطى ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص د ، ٥ وما بعدها ٠

(٢) ذكر روجراؤف ويندوفور أن اسم بريطانيا مشتق من اسم بروتونس
=

وتجدر بالذكر أن منابع تاريخ انجلترا الانجلوساكسونية نادرة وقليلة ، فمنها ما دون باللغة اللاتينية أو باللغة الانجليزية القديمة ، ومنها مالا يزال بلغته القديمة التي كتب بها ، ولم يترجم بعد إلى اللغات الحديثة ، ومنها ما ترجم إلى اللغات الحديثة كالانجليزية أو الفرنسية ، وتم نشرها علميا محققا . هذا ، وقد يبدو لأول وهله أن الكتابة في تاريخ الانجلوساكسون بعامة سهل وميسور ، إلا أن ندرة المصادر والوثائق بالنسبة للعديد من جوانب الموضوع الهامة ، جعله في حاجة إلى مزيد من الدراسة العلمية الدقيقة ، لكتف غموض تلك الجوانب وسد فجواته العديدة ، وتوضيح الرؤيا أمام الباحثين عن حقيقة هؤلاء القوم انبابة .

وموضوع بحثنا هذا يتناول تاريخ عصر شخصية واحد من أعظم ملوك أوروبا وأكثرهم شهرة وغموضا في العصور الوسطى ، لا وهو الملك أوفشا ^{REX} OFFA ملك مرسيا Mercia الانجلوساكسوني لقد استطاع على امتداد عصره الذي امتد تسعة وثلاثين عاما أن يخرج مملكته عن عزلتها (٧٥٧ - ٧٩٦) وبعد جهود مضنية

Brutus (الماسمر القرطاجي) ، وبعد قدم الانجلوساكسون
عرفت باسم انجلترا أو إنجلترا Anglia نسبة إلى الانجليز
أنظر :

Roger of Wendover, Flowers of History, trans. From the Latin by Galas, J. A., London, 1848, Vol. I, p. 53; Geoffrey of Monmouth, The History of The Kings of Britain, trans - with an introduction by Lewis Thrope, London, 1976, pp. 53 - 74.

بذلها فى شتى الميادين العسكرية والمدبلوماسية نجح فى توحيد المالك الأنجلوساكسونية تحت زعامته ، ولاول مرة فى التاريخ اتحدت هذه المالك وبلغت فى عصره مكانة سامية ، تمنتت فيها بالثروة والامان بفضل مشروعاته الاقتصادية وال عمرانية وتشريعاته العادلة ، فاستحق عن جدارة لقبى : « ملك انجلترا Rex Anglorum » ، وملك كل بلاد الانجليز Rex totius Anglorum Patriae الخالدة فى شتى المجالات الانف ذكرها ، فضلا عما عرف عنه من ورع وتقوى وطيبة قلب من جهة ، بالإضافة الى تودد كل من البابوية وشارمان العظيم اليه ، ومهادنتهما اياه رغم كراهيتهما الشديدة له من جهة أخرى ، ما يؤكّد عظم مكانته التي تمثلت في تحطيه حدود بلاده ، وتركه بصماته القوية على مجريات أمور السياسة الاوربية فى آخريات سقوات عمره .

ويلاحظ أن تاريخ الملك أوفا لم ينزل حظه الكامل من الدراسة المتكاملة الجوانب ، اذ ان الموضوع لم يدرس بعد سواء في الشرق او الغرب دراسة علمية موضوعية قائمة بذاتها . بينما وردت الاشارة إليه عرضا بين ثانيا كتابات بعض المؤرخين المعنيين بتاريخ الجزيرة البريطانية بعامة . هذا ويلاحظ أن اغلب المؤرخين المهتمين بدراسة تاريخ انجلترا الأنجلوساكسونية ، قد مرروا على عصر الملك أوفا مرور الكرام ، بينما فريق آخر قد أهمل الاشارة اليه تماما . ومن ثم فان كل ما دون عن تاريخ هذا الملك ، لا يتعدى نتفا أو شذرات

مبعثرة هنا أو هناك ، أو على أكثر تقدير ، فصل أو بعض فصل في كتب المؤرخين المتخصصين أمثال ستنتون Stenton ووايتلوك Whitelock وورمالد Wormald وهارت Hart.

ومن الغريب الملاحظ أن الملك أوفا رغم عظم مكانته تلك ، فإن جميع وثائق عصره دون غيره من الملوك الانجليز قد اختفت ! فكل ماوصلنا عنه مجرد اشارات بسيطة لا تتعذر سطراً أو بعض سطر ، مما لا يروى غلة الباحث . والأكثر غرابة أن المصادر المعاصرة لم تشر إلى نهايته ، أو إلى مكان دفنه ، ولو لرواية وردت عرضاً في مصدر متأخر (القرن ١٣ م) ماعرفنا شيئاً عن مكان دفنه ، الذي تحده الرواية كما هو متوافر في مصلى صغير داخل مبني مجهول على حافة نهر اشتهر بفيضاناته الدمرة ! بينما المفروض أن يدفن كالعادة المتبعة مع غيره من أقرانه الملك في كنيسة العاصمة أو كاتدرائيتها ! وأضافة لما سبق يلاحظ أن كافة المصادر والوثائق المعاصرة والمتاخرة زمنياً بخاصة ، وأغلب المراجع والموسوعات والمعاجم المتخصصة بصفة عامة ، قد أهملت الاشارة إلى أهـم وأندر العملات في تاريخ أوروبا الوسيط ، والتي أصدرها الملك أوفا ، وأعني بذلك ديناره المشهور الذي نقش عليه اسمه بالحروف اللاتينية مصحوباً بعبارات التوحيد الإسلامية (لا إله إلا الله وحده لا شريك له — محمد رسول الله) ! مما أوقع المؤرخين المعنين في حيرة ، وكان أن تعددت آراءهم وتضاربت بشأن أسباب ضرب هذا الدينار ومدلولاته الهامة . هذا وجدير بالذكر أن هناك من تسأله عما إذا

كان أوفقاً قد اعتنق الاسلام ، وخرج علينا بالرأي القائل باعتقاده
الاسلام ، اعتماداً على ديناره الانف الذكر .

لذا ، ولأهمية هذه المقوله وخطورتها من جهة ، على ضوء
المعلومات القليلة التي أمدتنا بها المصادر والوثائق النادرة من جهة
أخرى ، قمنا بعمل دراسة تحليلية لتلك الآراء لبيان مدى صحتها
بعد مقارنتها بغيرها من المعلومات والروايات المشابهة في غيرها
من المراجع المتخصصة ، واضعين نصب أعيننا الوصول إلى الحقيقة
التاريخية المجردة المنزهة عن أي غرض آخر . ويلاحظ أن المؤرخين
العربين كافة قد تغاضوا كلية عن مناقشة مدى صحة القول باحتمال
اعتقاد الملك أوفيا للإسلام ، ومن ثم القول بأن خرب هذا الدينار
كان محصلة طبيعية له . وقد تعلل هؤلاء بعدم وجود نص صريح
يؤكد صحة هذا الاحتمال من جهة ، ومقارنتهم حالة الضرب هنا هنا
بحالات أخرى مشابهة لدنانير سكها الصليبيون في الشام ، فضلاً
عما أصدره بعض ملوك الفرنج في أوروبا العصور الوسطى في هذا
الصدق من جهة أخرى .

لكتنا بفضل الله ، ثم بفضل ما حصلنا عليه من وثائق ، فضلاً
عن صورة الدينار والمعلومات التي أمدنا بها المسؤولون المعنيون
في المتحف البريطاني ، وغيرهم من المتخصصين في علم النويات^(٣)

(٣) يحضرني في هذا الصدد توجيهي الشكر والعرفان بالجميل للسادة
المشرفين على المتحف البريطاني ، ومكتبة العامة وقسم المسكوكات
بصفة خاصة ، لتصريحهم لي بنشر لوحة الدينار المرفقة ، فضلاً
عن تيسيرهم لي سبل شراء مصادر البحث ومراجعه وتصوير النادر
=

قد رجحنا اعتقاد الملك أوفا الدين الاسلامى . أملين أن تكون قد وضعنا بهذه الدراسة الصعبة حدا للحيرة التي أوقع المؤرخون المعنيون أنفسهم فيها ، فهم في ظاهرهم كانوا يلهثون وراء تفسير منطقى لحقيقة ضرب هذا الدينار ، بينما هم في باطنهم مقتتون بما وصلنا اليه في هذا الصدد . فلا مراء في أن أى باحث مدقق ومنصف لا يغيب عن خاطره أن هناك أسبابا قد حالت ولا زالت تحول حتى يومنا هذا دون هؤلاء المؤرخين ودون اعلانهم صحة هذه المقوله ، وأعني بذلك خوفهم من ردود فعل الكنيسة المضادة لهم اذا ما خرجوا علينا بمثل هذا الرأى الذي فيه يمترون ، ولعل ذلك يفسر أسباب تعدد آراء هؤلاء المؤرخين حول حقيقة أسباب ضرب هذا الدينار ، ومن ثم يدعم القول بعدم تحليهم بروح المؤرخ الحايد ، فضلا عن كشف ثبت نواياهم وكراهيتهم الشديدة للاسلام وال المسلمين .

=

منها وسهلوا لي مهمة الحصول على كافة مصادر تاريخ إنجلترا في العصور الوسطى وعلى رأسها مجموعة الوثائق التاريخية الانجليزية الأصلية أيضا . وأخص بالذكر السيد / ف . أوتوند S. M. Yongs ، والستيدة / س . م . يونجز Ph. Ottwood Dillon ، فضلا عن السادة المشرفين على مكتبة جامعتي ديلون وKent لما قدموه من مساعدات يسرت لي شراء العديد من مصادر البحث ومراجعه الهامة ، كما لا يفوتنى شكر الزميلين د . / رافت النبراوى ، د . / محمد غيطاس ، وأمينى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، السيد الاستاذ محمد عبد الرحمن فهمى ، والانسة الاستاذة وجيدة يحيى عزب ، لما قدموه لى من مساعدات : فجزاهم الله عنا خير الجزاء .

لقد تم اعداد هذا البحث بعد جهد جهيد بذاته على امتداد أكثر من ثلاثة سنوات ، لصعوبة الموضوع وندرة المادة العلمية الخاصة بتاريخ الملك أوفيا كما أسلفا . ومن ثم كان علينا سبر أغوار الوثائق والمصادر ، ودراستها بعمق علنا نحصل على روایة أو معلومة تتصل بالموضوع من قريب أو بعيد تسد احدى فجواته العديدة أو تضيف اليه جديدا . حتى استطعنا أن تكون اطارا عاما عن أهم سمات عصر هذا الملك العظيم ، وذلك من خلال السرد العام لأهم أعماله ، ومجهوداته التي قام بها في كافة مظاهر الحياة العسكرية والسياسية والدبلوماسية ، وال عمرانية والتجارية والتشريعية والثقافية ، من أجل تحقيق وحدة الامة الانجليزية تحت زعامة مرسيا ، وكفالة أعلى مستوى معيشى لها ، وهذا ما حققه الملك أوفيا بالفعل وأكده الوثائق والمصادر . ولقد رکزنا بصفة خاصة على علاقاته بكل من البابوية وشارلمان العظيم من جهة ، وعلاقاته التجارية والسياسية بالخلافة العباسية من جهة أخرى ، مع دراسة تحليلية لأهم انعكاسات تلك العلاقات على مسار الاحداث ، ونتائجها القريبة والبعيدة على امتداد البحث .

من هذا المنطلق ، كان اختيارنا لموضوع البحث تحت عنوان : عصر أوفيا ملك انجلترا الانجلوساكسوني (٧٥٧ - ٧٩٦) » ، على يكشف ستر غموض حقيقة هذا الملك العظيم ، ويعيد اليه حقه من التقدير والتكرييم ، ويضعه في مكانه الصحيح كواحد من أعظم ملوك أوروبا العصور الوسطى من جهة ، ويضع حدا لحيرة المؤرخين الغربيين المصطنعة بكتشf حقيقة السبب الذي حدا به لضرب ديناره ذي العبارات الاسلامية من جهة أخرى .

- ١٦ -

ومن الامامية بمكان القول بأنه لو لا مسفياتي المتعددة من قبل الى انجلترا وغيرها من البلدان الاوربية من جهة ، ولو لا زياراتي ومراسلاتي مع العديد من المشرفين على الارشيفات الاوربية، وعلى رأسهم مسئولي المتحف البريطاني بصفة خاصة من جهة أخرى ، ما خرج هذا البحث الى حيز النور ، اذ اتنى بفضل الله ، ثم بفضل هؤلاء المسؤولين قد حصلت على أكثر من خمسة وتسعين في المائة من المصادر المتصلة بالفترة الزمنية موضوع البحث بصفة خاصة، وتاريخ انجلترا على امتداد العصور الوسطى بصفة عامة ، مما أعادنى على التصدى لكافه القضايا والمشاكل التي واجهتني على امتداد البحث، وكشف اسبابها ومسبباتها ، ومن ثم بيان أهم النتائج والاستنتاجات التي ترقبت عليها ٠

هذا ، وترجع أهمية البحث الى أنه يلقى الضوء لأول مرة على حقيقة تاريخ عصر الملك أوفا العظيم ، الذي أهمله المؤرخون ، فضلا عن أنه يضيف اليه جديدا ، ويكشف حقيقة موقفه من الاسلام ، وفي نفس الوقت تكشف هذه الدراسة الكبير من الحقائق العلمية التي كانت خافية بين سطور الوثائق والاصول المعاصرة والمتاخرة عن الفترة الزمنية موضوع البحث (٧٥٧ - ٧٩٦ م) ٠

وغمى عن القول أن الحوليات الانجلوسaxonية المنشورة تحت عنوان «The Anglo - Saxon Chronicle» التي كتبها عدد من الكتاب الحوليين الكنيسين الانجليز ، قد أمدتنا بفيض طيب من المعلومات والحقائق التاريخية التي أهملتها أصول أخرى . ويليها في الاممية مجموعات الواثيق والرسائل التي تمتاز بقيمتها العلمية الكبيرة ،

لكونها قد صدرت عن شهود عيان معاصرین للإحداث على امتداد عصر أوفا ، فضلاً عما حصلنا عليه من غيرها من المصادر اللاتينية والإنجليزية القديمة للمؤرخين أمثال : روجر أوف ويندover "Roger de Hoveden" ، وروجردي هوفيدن Roger of Wendover ومتي أوف ويستمنستر Matthew of Westminster وآسر Ascer وبيد Bede وغيرهم ، أكبر الأثر في إعداد هذه الدراسة الصعبه .

هذا عن الهدف من إعداد البحث وقيمه العلمية ، ولقد قسمناه إلى ثلاثة فصول ، مهدنا له بهذه المقدمة وتحليل علمي ل مختلف المصادر والمراجع من أجنبية وعربية ، وذيلناه بخاتمة ضمنها أهم الآراء والأفكار والنتائج التي أمكن التوصل إليها .

والفصل الأول وعنوانه : « أوفا وتوحيد الأنجلوساكسون (٧٥٧ - ٧٩٦) » . تناولنا فيه بالدراسة المركزة أحوال بريطانيا قبيل عصر الملك أوفا كمدخل طبيعي للبحث ، مما ساعد على تفهم طبيعة المناخ العام وظروف تربع أوفا على عرش مرسيا ونموها السياسي والاقتصادي ، وانطلاقها بقيادة للهيمنة على كافة المالك الانجلوساكسونية ، وما ترتب على ذلك من احتكاكات وحروب طاحنة نشبت فيما بين الطرفين . وتناولنا بالتفصيل حروب أوفا التي خاضها من أجل توحيد الأنجلوساكسون لأول مرة في تاريخهم الطويل . وبالمثل ناقشنا بالدراسة التحليلية الموضوعية أسباب نصرع ايثيرهت ملك ايسنجلترا وقطع راسه بواسطة أوفا ، وغلننا ذلك باتفاقه مع البابوية ضد أوفا للتخلص منه ، لواقنه العادية

للكنيسة الرومانية والعقيدة الكاثوليكية ، والتي رجحنا على ضوئها اعتناق أوفا الاسلام . كذلك أشرنا الى بعثة عام ٧٨٦م التي ارسلتها البابوية لاعادة تجديد العقيدة المسيحية وتثبيتها في النفوس بعد ان ترعرعت ، وتركها الكثيرون نتيجة جهود أوفا المعادية للكنيسة والعقيدة . وأثبتتنا أن ارسالها كان على عجل ، بعد أن وصلت إلى مسامع البابا موقف أوفا المضاد للكنيسة الرومانية ، والتي هددت وجودها في إنجلترا بخطر داهم ، ولقد أكدنا هذا الرأي بالاسانيد والحجج التي حصلنا عليها من المتابع والمصدر الأصلي . كذلك مقاولنا جهود أوفا الدبلوماسية التي بذلها لضم بعض ممالك الأنجلوساكسون إلى الاتحاد الكونفدرالي الذي أنشأه بقيادته تحت سيادة مرسيا ، وحيث أنكح ابنته إلى كل من إيثلريد ملك نورثمبريا ، وبيور هتريك ملك وسكس ، ضمناً لبقائهما داخل نطاق اتحاده السابق الذكر يفضل روابط النسب التي ربطهما به . وأنهينا الفصل بالإشارة إلى ردود فعل البابوية وشارلان المضادة لجهود أوفا التي بذلها لتوحيد الأنجلوساكسون ، وأوضحنا تآمرهما مع أعداء أوفا للتخلص منه بسبب أعماله المضاد للكنيسة كما أسلفنا من جهة ، و موقف أوفا من أعدائه ونتائجها من جهة أخرى .

أما الفصل الثاني وعنوانه : « أوفا ودوره الحضاري (٧٥٧ — ٧٩٦م) » . فقد تضمن دور الملك أوفا في وضع نواة نهضة إنجلترا وتطورها الحضاري ، بالإشارة إلى جهوده المبذولة للنهوض بالثقافة والتعليم ، فضلاً عن اصلاحاته التشريعية والمالية . واهتماماته بالتجارة وتشجيعها ، وعقده المعاهدات التجارية مع

١٩٣ -

شارلماش والعباشينيin ٤ وهن الاولى من نوعها فى تاريخ إنجلترا . ولقد أثبتتنا قوّة التواجد العربي التجارى فى إنجلترا الأنجلوساكسونية قبل وعلى امتداد عصر أوفرشاً ، وذلك على ضوء الوثائق والحفريات الأثرية . ثم عرجنا على كشف التغييرات التي أدخلها أوفرشاً على العملات الأنجلوساكسونية ودلائلها ، والتي أفادتنا هي وغيرها من الأسانيد والحجج التي ذكرناها على امتداد البحث فى تأكيد ما وصلنا اليه بشأن ترجيح اعتناق أوفرشاً الإسلام . فلقد أشرنا إلى تلاشى شارة الصليب من عملات السنوات الأخيرة من حكمه ، فضلاً عن ضربه ديناره الذهبي المشهور ذى عبارات التوحيدية الإسلامية ، كما نقشنا كافة الآراء التي قيلت حول أسباب ضرب هذا الدينار . وأنهينا الفصل بترجيح اعتناق أوفرشاً الإسلام ، مدعين ما وصلنا اليه بالأسانيد والشواهد التاريخية ، والحقائق العلمية

الموضوعية

والفصل الثالث والأخير وعنوانه : « سور أوفرشاً العظيم ودلائله (٧٨٤ - ١٩٦ م) » . أشرنا فيه الى تخطيط وطبوغرافية سور أوفرشاً العظيم الذي أقامه على حدوده مع ويلز ، وتناولنا بالمناقشة الموضوعية العلمية شتى الآراء التي قيلت في تبرير بناء سور أوفرشاً لهذا السور الذي كلفة أموالاً لا حصر لها ، ولقد أشرنا لأول مرة الى السبب الحقيقي لتشييد السور وتاريخ البناء ، وأيدينا ما وصلنا اليه في هذا المصدّد بالحجج والأسانيد والشواهد التاريخية التي اعتمدناها من المصادر والاس Howell علىها في اعداد البحث .

وأعني أن البناء قد تم لتعويق أعون البابوية من عبور الحدود إلى مرسيسا ، لثارة النفوس وتحريض الاهالي على الثورة ضد أوفا ، تمهدًا لعزله لواقه المعادية « للكنيسة والايام » . واستلزم الأمر الاشارة إلى حروب أوفا ضد ويلز لما في ذلك من أهمية في كشف بعض جوانب البحث العامضة ، وسد فجواته .

وكذلك تناولنا بالدراسة التحليلية أسباب اهمال كافة المصادر والمراجع المعنية الاشارة إلى أسباب موت أوفا المفاجئ ، وهو يعد عدته لهاجمة ويئز عام ٧٩٦ م ، ودلائلها ، مع الاشارة السريعة إلى محاولات الملك هنا (جون) صاحب الماجناكارتا البحث عن مقبرة أوفا ، وببيان أسباب هذه المحاولات ، وخلصنا من ذلك ، بأنها محصلة لاعجاب هنا بالملك أوفا ، الذي وصل حدا كبيراً لدرجة محاولته ترسم خطاه في اعتناق الاسلام ، وأكدنا ذلك بالاشارة إلى سفارته المشهورة التي أرسلها إلى الخليفة الناصر محمد الموحدى في الاندلس ، معلنا رغبته في اعتناق الاسلام ودخوله وبلده وشعبه في زمرة الموحدين ، مما أدى إلى غضب البابوية واتهامها إيهامه بالكفر .

وأنهينا البحث بخاتمة ، أشرنا فيها إلى الجديد في الموضوع ، فضلاً عن أهم الافكار والآراء ، والاستنتاجات التي توصلنا إليها .

هذا ، ولقد زودنا البحث بخريطة لإنجلترا الأنجلوساكسونية تحدد الملك السابع المشهورة الهييتاركي، وسور أوفا العظيم، فضلًا عن ويلز البريطانية . كما زودنا البحث برسم تخطيطي يوضح تسلسل نسب ملوك مرسيسا على مر تاريخها بدءاً بأول ملوكها بندا (٦٣٢ - ٦٥٤) ، وانتهاءً بآخرهم كيلولة ، (٨٢١ - ٨٢٣ م) . وفوق هذا كله ،

- ٢١ -

زودنا البحث بلوحتين تمثل الاولى دينار الملك أوفا الذهبي ذي عبارات التوحيد الاسلامية ، والثانية تشیر الى سور أوفا العظيم ٠

وأخيرا ، اختتمنا البحث بقائمة بأسماء المصادر والمراجع
التي اعتمدنا عليها في اعداده من أجنبية وعربية ٠

وختما لا يسعني الا أن أقدم عظيم شكري وتقديرى لكل من قدم لى يد العون ، سواء فى داخل البلاد أوخارجها ٠ والله أسأل أن يكون فى هذا البحث ما يعين على كشف ستر التعقيم التاريخي
الذى أسدلتها البابوية على حقيقة تاريخ أوفا ملك انجلترا العظيم ٠

هذا هو مقدار جهدى العلمى المتواضع ، فان كنت قد أصبت فلى أجران ، والله الفضل والمنة ، وان كان غير ذلك فلى أجر الاجتهاد ،
وعلى الله قصد السبيل ٠

« وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت ، واليه آنيب » ٠

مصطفى حسن محمد الكتاني

رمضان المبارك ١٤٠٦ هـ
مايو ١٩٨٦ م } الاسكندرية

دراسة نقدية تحليلية
لأهم مصادر البحث ومتابعه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لامراء فى أن تاريخ عصر الملك أوفا ملك إنجلترا الانجلوساكسونى يكتفه ليس وغموض شديدان ° والموضوع لم يصدر فيه حتى الآن سواء فى الشرق أو الغرب كتاب علمى مستقل قائم بذاته يتناوله من كافة جوانبه ، يضاف الى ذلك وجود العديد من التغرات التى لم تذكرها المصادر التاريخية المعاصرة وغير المعاصرة على حد سواء ° ولعل السبب فى ذلك يعزى الى ما اكتفى الكتابات التاريخية الخاصة بتاريخ عصر هذا الملك العظيم على امتداد فترته الزمنية (٧٥٧ - ٧٩٦ م) من قصور ° حقيقة أن هناك بعض المراجع التى تناولت بالاشارة بعض جوانب الموضوع، الا أن التغرات لا زالت متعددة ، لأن من تناولوا سيرته بالكتابة قد مرروا عليها مرور الكرام ، ومن ثم كان علينا سد هذه الفجوات عن طريق المقارنات والموازنات التاريخية ° وجدير بالذكر هنا، أن الكتابات التاريخية التى تناولت تاريخ عصر الملك أوفا بصفة خاصة يعثورها كثير من الغموض والقصور ، ربما لاعتماد المؤرخين الغربيين الحديثين على شق واحد من الاصول دون الشق الآخر منه وقد يكون السبب اما لعدم ملائمتهم بالموضوع تمام الالام ، واما لعتمدهم اهمال هذا الجانب لتصوير الاحداث من وجهة نظر صلبيه بحثة غير منصفة ° ولا شك أن تاريخ انجلترا الانجلوساكسونية كفصل أو بعض فصل من فصول تاريخ الغزاة البرابرة الجerman بالمفهوم العام، قد تناولته بعض المراجع بشتى اللغات ° ورغم ذلك يمكن القول بأن تاريخ عصر الملك أوفا لم يدرس بعد دراسة علمية موضوعية تاريخية

وافية ، ولازال فى حاجة ماسة الى ابحاث مستفيضة تجمع بين العلم ب المصادر واصوله اللاتينية والانجليزية القديمة وغيرها من المنابع على حد سواء ، وذلك من أجل الوصول الى الحقيقة التاريخية المجردة .

والحقيقة أن كل مادون من تاريخ عصر الملك أوفا وعلاقته بالملك والبلدان الأخرى داخل انجلترا وخارجها ، لم يتعد بعض صفحات أو سطراً أو بعض سطر ، أو شذرات وتنق مبعثرة في هذا المرجع أو ذاك ، مما لا يشفي من غل . ومن ثم لا تصلح أساساً لدراسة تاريخية علمية موضوعية ، اللهم باستثناء ما كتبه سير فرانك ستنتون (١) في كتابه المشهور « انجلترا الانجلوسaxonية Anglo - Saxon England » وبالمثل ما كتبه هارت . س Hart. C تحت عنوان : « مملكة مرسيا The Kingdom of Mercia » و كذلك ما دونه ورمالد . P. of Mercia »

(١) يعتبر كتاب ستنتون (توفي عام ١٩٦٧م) أعظم ما كتب عن انجلترا الانجليوسaxonية حتى الان . وهو يتناول تاريخ قドوم الغزاة الانجليوساكسون إلى انجلترا واقامتهم ممالكهم المشهورة هناك وتطورها حتى قدم الغزاة النورمانديين بقيادة ولیام الفاتح (١٠٦٣ - ١٠٨٧م) ، ولقد أفادنا على امتداد البحث . وتعزى أهميته ل.contains العديد من المعلومات والروايات التاريخية التي حصل عليها من مصادر لم تتح لغيره من المؤرخين المعينين . ولقد أمننا برواية هامة أكدنا على صوئها صحة ما وصلنا اليه بصدق وجود ثمة اتفاق تجاري وعلاقات سياسية بين أوفا والخلافة العباسية، الا أن ما يعاب عليه اعتماده مثل غيره من المؤرخين على الحدس والترجيح =

في الفصل الخامس من كتابه الخاص بتاريخ الأنجلوساكسون تحت عنوان : « عصر أوفا وألكوين *The Age of Offa & Alcuin* » وفيما عدا ذلك فإن تاريخ عصر الملك أوفا خاتم وسط زحام الصراعات السياسية والحضارية التي نشبت بين الشرق والغرب في العصور الوسطى بصفة عامة ، والتي اهتم بها المؤرخون الحديثون دون غيرها من الموضوعات المتخصصة مثل موضوع بحثنا هذا . ولعل هذا يفسر سبب عدم كتابة أي من المؤرخين المسلمين شيئاً عن تلك الحقبة من تاريخ إنجلترا في بداية العصور الوسطى ، فلقد درج هؤلاء المؤرخون على تدوين الأحداث التاريخية طبقاً للنظام الحولى على امتداد الحقبة الوسيطة من التاريخ ، مما حال بينهم وبين الاهتمام بمثل هذا الموضوع الخاص .

هذا ، ولقد زاد من تعقيد الأمور ندرة الوثائق والمصادر المتعلقة بعصر هذا الملك العظيم من جهة ، فضلاً عن أن الروايات التي أشارت إليه من قريب أو بعيد في أي من المصادر . كان يشوبها التناقض والغموض في كثير من الأحيان ، مما صعب مهمة الباحث في سرد أحداث الموضوع بطريقة أو بأخرى ، ورغم هذا ، فإننا بفضل الله ، ثم بفضل ما وصلنا من مادة علمية وروايات تاريخية

دون تأييد ما وصل إليه من أفكار بالحجج والاسانيد . ولعل ذلك مرده ضياع كافة وثائق عصر الملك أوفا . هذا ولقد اعتمدنا على الطبعة الثالثة من كتابه (١٩٧١ م) التي أعيد طبعها عام ١٩٨٤ م تحت عنوان :

Anglo - Saxon England, 3rd. ed., (Reprinted), Oxford, 1984.

اعتصرناها من المصادر القديمة ، فضلا عن المراجع المختلفة ، سواء ما هو مكتوب باللاتينية والإنجليزية القديمة ، أو بالإنجليزية والفرنسية الحديثة والعربية ، قد استطعنا سد العديد من الثغرات التي واجهتنا على امتداد البحث ، بحيث أمكننا ربط الموضوع في وحدة متكاملة متناسقة .

لقد قمنا بتصنيف مصادر البحث إلى مجموعتين رئيسيتين : هما :

أولاً : مصادر شهود العيان وغيرهم من المعاصرين لأحداث الفترة الزمنية موضوع البحث .

ثانياً : المصادر السابقة للموضوع والمتاخرة عنه زمنياً .

وتتأتى على قمة المجموعة الأولى الحوليات الأنجلوسаксونية التي نشرت بالإنجليزية الحديثة تحت عنوان : «The Anglo Saxon Chronicle» وهي تشمل أحداث الفترة الزمنية الممتدة من عام ٦٣٠ ق.م حتى عام ١١٥٤م . ولقد اعتمدنا على ترجمة ج.ن. جارمونسوإي G. N. Garmonsway وهي بحق تعتبر أدق وأقيم الترجمات التي صدرت في هذا الصدد لأصول مخطوطات الحوليات السبع المدونة بالإنجليزية القديمة ، فضلا عن الثلاث ترجمات اللاتينية الأخرى (٢) . وتعزى أهمية تلك الحوليات

(٢) نشرت تلك الترجمة تحت عنوان : «The Anglo - Saxon Chronicle, trans. & edited by G. N. Garmonsway, London, 1972.

كذلك استعنا في بعض جوانب البحث بترجمة أخرى للدكتورة دوروثى =

الى أنها تتضمن معلومات وروایات تاريخية هامة عن تاريخ انجلترا الأنجلوساكسونية بعامة قبل وبعد قدوم الغزاة الانجلوساكسون وغيرهم من البرابرة الجerman الى بريطانيا منذ الغزو الروماني لها على يد يوليوس قيصر (٥٥ق.م - ٤٩ق.م) وحتى عام ١١٥٤م.

هذا وتبدأ الحوليات بسرد الخطوط العريضة لاحوال بريطانيا منذ الغزو الروماني على يد يوليوس قيصر كما أسلفنا ، وما تلاه من أحداث هامة حتى نهاية النصف الاول من القرن الخامس الميلادي . ويلاحظ أن أحداث تلك الفترة والسنوات التي تلتها حتى عام ٨٩١م ، قد اقتبست من الحوليات التي دونت بالانجليزية القديمة في عصر الملك الفريد العظيم (٨٧١ - ٨٩٩م) . وفيما بعد عصر الفريد يلاحظ تنوع كتابة الحوليات لتنوع الكتاب وكأنوا من رؤساء الأساقفة الانجليز .

وثمة ملاحظة هامة ينبغي الاشارة اليها ، وهي أن كافة المخطوطات السبع قد تشابهت روایاتها التاريخية الى حد بعيد على امتداد أحداث الفترة الزمنية الممتدة منذ بداية الحوليات وحتى عام ٩١٥م ، مما أوقع المؤرخين في حيرة ، وتضاربت الآراء حول تبرير هذا التشابه (٣) ولقد بذلت محاولات جادة لتفسيير أسباب التشابه

= وايتلوك Dorothy Whitelock نشرتها في الجزء الاول من مجموعة الوثائق التاريخية الانجليزية انظر :
E. H. D., ed. D. Whitelock, Vol. I, pp. 145 - 261.
Stenton, Sir F., Anglo - Saxon England, 3rd. ed.. (٣)
Oxford, 1984, p. 688.

من جهة ، وكشف ستر الغموض الذى اكتفى روایاتها من جهة أخرى ، قا میها البروفسور شارلز بلمر Charles Plummer واستطاع بعد مقارنة روایات الحوليات المختلفة ببعضها ان يكشف بعض غموضها . وأشار الى ذلك فى مقدمته التى تقدم بها مجموعتين من تلك الحوليات رمز اليهما بالحرفين « E » و « A » وأصدرها فى جزأين ، صدرا فى أوكسفورد فى عامى ١٨٩٢م و ١٨٩٩م (٤) .

لقد اشتهرت المجموعة الأولى « A » باسم حولية أو مخطوطة باركر Ms. Parker . ولقد رمزا اليها على امتداد البحث باسم «The Parker Chronicle» (٥) . وتعتبر أهم الحوليات السبع على الاطلاق ، وتبدأ بأحداث عام ٦٠ق.م وتنتهي بأحداث عام ١٠٧٠م (٦)

(٤) أعادت الاستاذة الدكتورة دورثى وايتلوك اصدار هاتين المجموعتين بعد اضافتها مقدمة تحليلية لكانة الحوليات السبع ، فضلا عن ملحق خاص حددت فيه عام بداية كتابة الحوليات . وتعزى اهمية طبعة شارلز الى انه أول من قارن المجموعة الأولى بتلك المحفوظة فى الكلية اليسوعية فى كامبردج علم ١٨٦٥ . انظر

The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway, p. XXXIII; E. H. D., Vol. I, p. 109.

(٥) نسبة الى رئيس أساقفة كانتربيوري المدعو متى باركر Matthew Parker (١٥٧٥ - ١٥٥٤) . وللمزيد عن أهمية الحولية ، انظر :

The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmensway, pp. XXXII — XXXIII; E. H. D., Vol. I, pp. 109 - 110; Stenton, op. cit., p. 288 ff.

(٦) توجد المخطوطة بالمتحف البريطانى تحت عنوان :

- ٣١ -

أما المجموعة الثانية فقد رمز إليها بالحرف « E » وعرفت باسم Ms. Laud وعلى امتداد البحث رمزنا إليها باسم « The Laud Chronicle ». ويلاحظ أن أحداثها حتى عام ١١٢١ قد كتبت بيد شخص واحد ، ثم دون عدد آخر من السكتب الحوليين أحداث الأعوام التالية حتى عام ١١٥٤ . وتتلخص أهميتها في أنها دون غيرها من الحوليات قد سردت تاريخ الملوك النورمانديين وأحداث عصورهم بتفصيل واف .^(٦)

Corpus Christi College, Cambridge, Ms. No. 173, Folios 1 - 32,
(60 B. C. - A. D. 1070).

جدير بالذكر أن مقدمتها قد كتبت باللاتينية ، ثم بعد ذلك بالإنجليزية وتعزى أهميتها لاحتواها على عدد من القصائد الشعرية الهامة لم يرد بعضها في الحوليات الأخرى . ولقد كتبها عدد من الحوليين يتراوح ما بين ثلاثة عشر إلى أربعة عشر كتابا . ويعاب عليها أن أحداث أعوام ما بعد سنة ١٠٠١م غامضة المعنى وضعيفة الأسلوب ، ولقد دونت في كنيسة كانتربيوري . وللمزيد انظر مصادر الحاشية السابقة رقم (٥) .

عرفت بهذا الاسم نسبة إلى رئيس أساقفة دير بتربرورو Beterbourough المدعو لود Laud (١٥٧٣ - ١٦٤٥م) . وتوجد المخطوطة الأصلية في مكتبة بودليان Bodleian في أوكسفورد تحت عنوان :

MS. Laud, No. 632 (A.D.I - A.D. 1154).

هذا ، ولقد نشرت الدكتورة دورثي وايتلوك هذه الحولية بصورتها الأصلية تحت عنوان :

The Beterbourough Chronicle (Early English Manuscripts in Facsimile), Copenhagen, 1954.

وللمزيد عن أهمية الحولية انظر :
The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway, pp. XXXIII,
XXXIX - XLI, Stenton, op. cit., pp. 691 - 692.

أما بقية الحوليات فلقد نظمت في عدة مجموعات كانت في البداية ملكاً للسير روبرت قطن Sir Robert Cotton، ثم آلت إلى المتحف البريطاني حيث حفظت هناك تحت عنوان The Cottonian « B » ورمز اليها بالحروف التالية Collections of MSS. و « C » و « D » و « F » . وجدير بالذكر أن المجموعتين « B » و « C » تعتبران نسختان منفصلتان تماماً عن بقية المجموعات، وتمت كتابتها بواسطة عدد من رؤساء أساقفة دير بلدة أبينجدون Abingdon جنوب أوكسفورد^(٨).

هذا وتعد المجموعة « D » أكثر المجموعات تعقيداً، إذ كتبها عدد ضخم من الكتاب الحوليين في دير ورسستر Worcester وأقدم روایاتها كتبت في عام ١٠٥٠م، وآخرها دونت في بداية القرن الثاني عشر الميلادي . وتبعد أحداثها مع بداية العام الأول للميلاد وتنتهي بأحداث عام ١٠٧٦م . الا أن بها اضافات تفيد هزيمة أنجوس

(٨) توجد المجموعة « B » بالتحف البريطاني تحت عنوان : Ms. B. British Museum, Cotton Ms. Tiberius « C » A VI, Folios 1 - 34 (A.D. — A.D. 977).

وتوجد المجموعة « C » تحت العنوان التالي : Ms. C. British Museum, Cotton Ms. Tiberius BI, folios 115 — 164 (60 B.c — A. D. 1066). cf. The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway, pp. XXXVI — XXXVII; Stenton, op. cit., p. 689.

ايرل أوف موراي Angus Earl of Moray عام ١١٣٠ م^(٩) مما يؤكد أن المجموعة قد دونت بعض روایاتها فى زمن ما فى بلاط سکوتلاند . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى امدتنا تلك المجموعة بمعلومات هامة عن عصر ادوارد المعترف Edward the Confessor (١٠٤٢ - ١٠٦٦ م) ، فضلا عن ظروف قدوم الغزاة النورمانديين الى انجلترا ، وما تلاها من احداث جسام^(١٠) .

اما المجموعة المشار إليها بالحرف « F » ، فلقد كتبت باللغتين اللاتينية والانجليزية القديمة ، وتأكد الروایات أنها دونت فى كاتدرائية القدس أو جستين فى كانتربىوري فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى ، ولقد كتبت نقاً عن المجموعة « E » وتعتبر اقل المجموعات أهمية^(١١) .

(٩) تقع موراي فى سکوتلاند فى منطقة جبلية وهى عاصمة مقاطعة تحمل نفس الاسم ، وكانت مساحتها آنذاك أكبر منها اليوم أنظر : P. E. P., p. 495; D. U., pp. 84, 578, 678.

(١٠) توجد المجموعة « D » بالتحف البريطانى تحت عنوان : Ms. D. (The Worcester Chronicle), British Museum, Cotton Ms. Tiberius B IV, (A. D. I - A. D. 1079) with the addition of an annal 1080 (= 1030). cf. The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway pp. XXXVI — XXXIX; Stenton, op. cit., p. 690.

(١١) توجد بالتحف البريطانى تحت عنوان : Ms. F. British Museum, Cotton Ms. Domitian A VIII (A. D. I - A. D. 1058). cf. The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway p. XLi; Stenton, op. cit., p. 691.

هذا ، ومن الامامية بمكان الاشارة الى أن البروفسور جارمونسوای Garmonsway قد أشار الى وجود مجموعتين آخريين اضافة الى ما سبق ، ولقد رمز اليهما بالحروفين « H » و « I » و تتكون الاولى « H » من ورقة واحدة تشمل احداث السنوات من عام ١١١٣م حتى عام ١١١٤م ، ويعتقد أنها كتبت في وينشستر بآحد الأديرة المقاومة هناك (١٢) ، أما الأخرى فلقد دونت احداثها بكنيسة المسيح في كانتربيوري ، وتشمل احداث السنوات المتعددة من عام ٩٨٨م حتى عام ١٢٦٨م ، ولقد ترجمت من اللاتينية والانجليزية القديمة الى الانجليزية الحديثة بواسطة جارمونسوای ونشرها لأول مرة في ملحق خاص في كتابه المشار إليه آنفا (١٣) .

وتجدر بالذكر أن الحوليات الساسكسونية قد نقلت بعض احداثها إلى اللاتينية ثلات مرات ، وأضيفت إليها روايات ومعلومات تاريخية جديدة ، ولقد تم ذلك لأول مرة بواسطة الراهب آسر Asser

(١٢) توجد بالمتحف البريطاني تحت عنوان :
Ms. H. British Museum, Cotton Ms. Domitian AIX (on the Single Leaf folio 9). cf. The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway, p. XLii.

(١٣) توجد بالمتحف البريطاني بعنوان :
Ms. I. British Museum, Cotton Ms. Caligula A XV, folios 132 b - 139. cf. The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway, p. XLII & Appendix A., pp. 270 - 272.

كاتب سيرة الملك ألفريد ، حيث نقل أحداث الفترة المتقدة من عام ٨٥١ م حتى عام ٨٨٧ م . وفي المرة الثانية أمرت ماتيلدا Matilda راهبة دير اسن Essen كاتب الحوليات ايزلويرد Aethelweard وكلاهما من أفراد البيت الحاكم في وسكس Wessex بكتابة الأحداث منذ بداية الحوليات حتى عام ٩٩٢ م ، وأضاف ايزلويرد أحداث السنوات التالية بدءاً بعام ٩٨٣ م وانتهاءً بعام ٩٧٥ م ، مما زاد من أهمية الحولية ورفع من قيمتها العلمية (١٤) .

وفي المرة الثالثة والأخيرة قام المدعو فلورانس Florance أحد رهبان دير ورسيستر Worcester (توفي عام ١١١٨ م) بترجمة الحوليات ، ولقد تمت ترجمته ناقلاً عن عدة حوليات على رأسها حوليات المجموعة « D » ، وتعزى أهمية تلك الترجمة اللاتينية إلى أنها حفظت لنا أهم سمات وتقاليد الأنجلوساكسون في عصره ويرجح أن فلورانس قد نقل عن كبار ملوك الأرض المجاورين للديار عادات وتقاليد الأنجلوساكسون المتوارثة والتي أمدنا بها

(١٤) الترجمة سيئة للغاية ، تؤكد جهل صاحبها باللاتينية وقواعدها ، وتعزى أهميتها إلى أنها تؤكد اهتمام حكام وسكس باللغة اللاتينية الجيلادي ، انظر : Stenton, op. cit., pp. 461, 691 .
كمحاولة فريدة من نوعها لاحتياطها في إنجلترا في القرن العاشر وجدير بالذكر أن الحولية نشرت باللاتينية عام ١٩٦٢ بواسطة A. Campbell تحت عنوان : The Chronicle of Aethelweard (cf. Nelson Medieval Texts, London, 1962). cf. Stenton, op. cit., p. 691.

بعد اضافتها الى الحولية المترجمة (١٥) .

مهما يكن من أمر ، فمما لا شك فيه أن تلك الحوليات قد أمدتنا بمعلومات وروایات تاريخية هامة ، أفادتنا في سد العديد من ثغرات البحث . فلقد أفادتنا في كشف أهم سمات عصر الملك أوفرَا وتكوين اطار عام عن جهوده العسكرية والسياسية الدبلوماسية التي بذلها لاتمام بناء صرح وحدة الأمة الانجليزية . وما يعبأ عليها الا يجاز الشديد خاصة بالنسبة لأحداث عصر الملك أوفرَا بالذات . كذلك حفظت لنا تلك الحوليات العديد من المعلومات والروایات التاريخية التي نقلتها عن أصول ضاعت في خضم الصراعات التي سادت انجلترا في الفترة السابقة لعصر الملك أوفرَا وبالتالي له . مما يجعل المرء يتتساعل عما اذا كان كتاب تلك الحوليات ، وكلهم كانوا من رجال الكنيسة الرومانية قد تعمدوا ذلك ، طمسا لحقيقة معالم تاريخ هذا الملك العظيم ، الذي كان يعتبر في نظرهم ونظر البابوية من الخارجيين عن الایمان الصحيح ، ومن المعادين للكنيسة .

والى جانب الحوليات الأنجلوساكسونية ، توجد مجموعة هامة من الرسائل والمواثيق ، وتترى أهميتها الى ان من كتبوها كانوا من المعاصرين وشهدوا العيان للفترة موضوع البحث . وكانت

(١٥) طبعت تلك الحولية تحت عنوان :

Florentii Wigorniensis Monachii Chronicon ex Chronicis, ed. B.
Thrope, 2 Vol., London, 1848 - 1849. cf. Stenton, op, Cit., p. 691 f.

خير سند لنا في كشف الكثير من جوانب البحث العامضة ، ومسد العديد من الفجوات على امتداده . ونخس بالذكر منها رسالة شارلمان إلى أوفا التي على صوتها أكدنا اهتمام الأخير بالتجارة ، وعده أول اتفاقية تجارية في تاريخ إنجلترا من جهة ، ومن جهة أخرى أكدت مدى ما وصلنا إليه عن سمو وعظم مكانة أوفا وتركه بصماته على مجريات الأحداث السياسية في القارة الأوربية من جهة ثانية ، وتأكيد احترام شارلمان للملك أوفا ومعاملته كمن مساو له من جهة ثلاثة (١٦) . وهناك رسالة أخرى أرسلها شارلمان أيضا إلى كل من إيزلهيرد Aethelheard رئيس أساقفة كانتربيوري ، وكيلوف Ceolwulf أسقف ليندسي ، ولقد اعتمدنا عليها في تأكيد ما وصلنا إليه بصدق أبعاد أوفا لهم وطردهما من إنجلترا لموافقتهم المعادية لسياسته ، والتي كانوا يعتبرانها « خارجة عن الإيمان » وفي غير صالح الكنيسة ، وكانوا قد طالبا شارلمان قبل أن تسوء علاقاته بأوفا بالتدخل لتصفية جو علاقاتهما مع الأخير ، ومن ثم سماحة لهم بالعودة إلى إنجلترا من منفاهما في الخارج (١٧) .

وبالمثل استقينا من رسالتين هامتين أرسلهما الكوين أوف يورك (١٨) Alcuin of York أرسل الأولى إلى رجل دين أيرلندي

cf. E. H. D., Vol. I, Doc. No. 197, pp. 848 - 49. (١٦)

cf. E. H. D., Vol. I, Doc. No. 196, pp. 847. (١٧)

(١٨) ولد الكوين في يوركشاير عام ٧٣٥ م ، وهو أنجلوساكسوني الأصل =

يسمى كولوكو Colcu ، يؤكد فيها شدة العداء الذى كان يكنه كل من شارلماں وأوفاً لبعضهما (١٩) . أما الرسالة الثانية فلقد أرسلها ألكوين الى أحد نبلاء مرسيا المدعو أوسبيرت Osbert (٢٠) ولقد أفادتنا فى ابراز اصلاحات أوفا التشريعية ، وكانت اضافة جديدة اكدت ما وصلنا اليه فى هذا الصدد ، فضلا عن ابرازها مدى المكانة التى كان يتمتع بها أوفاً ، وعظم شأن انجلترا فى عصره «وهناك رسالة ثالثة ارسلها الكوين أيضا الى الملك أوفا نفسه ، ولقد أفادتنا أىّما افادة فى تأكيد اهتمامات أوفا العظيم بالتعليم والثقافة ، فضلا عن ابرازها مدى تقدم الامة الانجليزية الثقافى والعلمى ، وعظم الثروة التى تمتّعت بها فى عصره (٢١) .

تعلم وعمل فى كنيسة يورك York ، وتعود شهرته الى ادارته مدرسة بلاط شارلماں (مدرسة القصر) . وكان يجيد اللاتينية والعبرية ، وعرف باتساع مداركه ودراساته الفلسفية واللامهوتية فضلا على شغفه بالتاريخ والحساب . ترك لنا أكثر من ثلاثة عشر رسالة ، تمتاز بأهميتها التاريخية والادبية يعد من أعظم النحويين الادباء فى عصره . قضى معظم حياته فى أوربا ، ومات فى كنيسة القديس مارتن أوف تور St. Martin of Tours عام ٤٨٠ مـ . انظر : Wormald, p., The Age of Off & Alcuin, cf. Anglo — Saxons, ed. J. Campbell, Phaidon Press, London, 1980, Chapter IV, p. 106; D. U., pp. J. 42 — 43.

cf. E. H. D., Vol. I, pp. 840 — 42.

(١٩)

cf. E. H. D., Vol. I, pp. 854 — 56.

(٢٠)

cf. E. H. D., Vol. I pp. 846 — 47.

(٢١)

أما مجموعة الواثيق الساكسونية التي نشرت تحت عنوان : *Cartularium Saxonicum* ، فتعزى أهميتها إلى كونها قد كشفت لنا مدى النجاح الذي حققه الملك أوفا بصدق بسط سيطرته على المالك الأنجلوساكسونية ، ودخولها تحت سلطانه المباشر داخل نطاق الاتحاد الكونفيدرالي الذي كونه من أجل توحيد الأمة الانجليزية تحت زعامة مرسيا . هذا ، ولقد تعددت تلك الواثيق ، وتم جمعها وأصدارها في مجموعتين ، وما يهمنا المجموعة الثانية التي تضمنت الواثيق الصادرة قبل وفاة الملك ادجار Edgar ملك وسكس (٩٥٩ - ٩٧٥) ^(٢٢) . وأهمية تلك الواثيق ترد في المقام الأول ، إذ أن بعضها قد صدر باسم الملك أوفا نفسه ، فضلاً عن غيره من الملوك الأنجلوساكسونيين المعاصرين وغيرهم . وتشير إلى الهبات والمعطيات التي كانت تمنح في صورة أراضي وعقارات إلى كبار رجال الدين والعلمانيين . ولقد أفادتنا أيّما إفادة في كشف مدى اتساع نفوذ الملك أوفا وسيطرته على كافة المالك الأخرى من خلال اندراجها في الاتحاد الكونفيدرالي الانجليزي الذي أقامه تحت زعامته

(٢٢) أصدر المجموعة الأولى ج . م : كامبل J. M. Kamble تحت عنوان : *Codex Diplomaticus Aevi Saxonici*, 6 Vols., London, 1839 - 1848.

وأصدر المجموعة الثانية و . دى . ج . برتش . W. de G. Birch ولقد تضمنت العديد من الوثائق التي لم تنشر إليها مجموعة كامبل مما يؤكّد أهميتها ، الا ان ما يعبّر عليها عدم تمييز صاحبها بين الوثائق الأصلية والزائفة ، ونشرها دون تدقيق أو نقد . ولقد نشرت تحت عنوان :

Cartularium Saxonicum, 3 Vols., & Index, London, 1885 - 93. cf. E. H. D., Vol. I, p. 385; Stenton, op. cit., p. 702.

كذلك أفادنا الكتاب الوثائقي المنشور تحت عنوان :
Councils & Ecclesiastical Documents, ed. Hadden & W. S. Stubbs, Oxford, 1871

لما احتواه من وثائق هامة ، أكدت مدى ما وصلنا اليه من شدة العداء المتبادل فيما بين البابوية وأوفيا ، وتخطيط الأخير لخلع البابا أدريان الاول (٧٩٥ - ٧٧٢) ، فضلا عن تأكيدها وقوف شارلمان الى جانب البابا في خندق واحد ، وتخططيهما معا للتخلص منه «لواقفه المعادية للكنيسة والآيمان » .

ويأتي في ختام تلك المجموعة المؤرخان الحوليان اينها رد (٣٣)
Notker the Stamerer ، ونوتركر المشهور بالملئعثم (٣٤) • *Einhard*

(٣٣) ولد اينهارد من والدين كريمين من سكان ودى نهر الين بالمانيا عام ٧٧٧م . تعلم ودرس في ديرفولدا Fulda . ارسله بوجولف Baugolf رئيس الدير إلى شارلمان في عام ٧٩١م لادارة مدرسة القصر في آخن Achen ، ومنذ ذلك الحين وحتى موته شارلمان عام ٨١٤م ظل اينهارد صديقه المقرب اليه . وكذلك كان حاله مع ولده وخليفة لويس التقى . وفي عام ٨٣٠م ، اعتزل اينهارد الناس وعاش في مدينة سيلجنستاد Seligenstadt ، وظل هناك حتى وفاته عام ٨٤٠م . ترك لنا اينهارد أربعة أعمال باللاتينية ، أهمها مصدرنا هذا تحت عنوان حياة شارلمان «Vita Carolo» فضلا عن مجموعة رسائله التي تعدد السبعين رسالة بوحدة عرفت باسم *Einharti Epistolae* كتبها على امتداد السنوات (٨١٤ - ٨٤٠م) .
 وللمزيد انظر :

|Two Lives of Charlemagne, ed. L. Thrope., pp. 15 — 21.

(٣٤) عرف باسم الملئعثم بسبب سقوط اسنانه وعدم قدرته على التحدث
 =

- ٤١ -

كتابا سيرة وتاريخ شارلمان العظيم . فلقد أفادتنا كتاباته بما في تأكيد وجود صداقة وعلاقات سياسية تجارية بين شارلمان والخلافة العباسية من جهة ، وأكدنا على ضوئها فضلا عن غيرها من المصادر والمراجع قوة علاقات أوفا التجارية والسياسية بالعباسيين ولقد اعتمدنا على ترجمة لوييس ثروب Lewis Thrope طبعه لندن ١٩٧٤ م والمشورة تحت عنوان :

«Einhard & Notkar the Stamerer, Two Lives of Charlemagne».

هذا ، ومن المصادر التي اعتمدنا عليها في اعداد بحثنا هذا ، وساعدتنا على ربط الاحداث وتوسلتها ، كتاب « زبدة التاريخ المؤلفه *Flowers of History* أو *Flors Historiarum* »

=

بطلاقة ، كما أشار هو نفسه إلى ذلك ، كان من اعظم كتاب شارلمان ، كتب عنه وعن أسرته وأمجاده ، ولد بالمانيا بالقرب من بحيرة كونستانس على الحدود السويسرية حوالي عام ٨٤٠ م قضى شبابه في دير سانجيل Saint Gall البندكتي ، عمل بالتدريس ، ومات عام ٩١٢ م . أخذنا بمعلومات قيمة لم يشر إليها ابنهارد البتة ، حيث دون فضلا عن حصار شارلمان لمدينة بافيا Pavia عام ٧٧٣ م وانتصاراته على اللونجبارديين Longbards وملوكهم ديزيدريوس Desiderius ووصف المعركة بدقة متناهية . دون كتابه شارل العظيم Carlo Magno أو ٨٨٤ م وأتمه عام ٨٨٧ م . تناول حياة شارلمان وعاداته وحملاته العسكرية وعلاقاته بالكنيسة . انظر :

Two Lives of Charlemagne, ed. L. Thrope, pp. 21 — 29.

- ٤٢ -

روجر أوف ويندوفور (٢٥) Roger of Wendover وقد تناول أحداث الفترة الممتدة من عام ١٢٤٥ م حتى عام ١٢٧٧ م، ورغم قلة ماذكره عن الملك أوفا ، الا انه قد ساعدنا بشكل كبير في سد بعض فجوات البحث على امتداده . كما أنه هو وحده دون غيره الذي أشار إلى مكان دفن الملك أوفا في بلدة أوفلي Offley المجهولة ، ومحاولة الملك هنا (جون) صاحب الماجنا كارتا Magna Carta (١١٩٩)

(٢٥) عرف روger باسم وندوفور نسبة الى بلدة بهذا الاسم في مقاطعة بكنجهام في إنجلترا ، عمل كاهنًا مرتلا (شمامس) وتدرج في السلك الكنسي في عهد الملك هنا حتى وصل إلى درجة رئيس دير بلفدار الحق بدير القديس البيتي Albeneby . توفي عام ١٢٣٧ م . ولقد اعتمدنا على الجزء الأول من تاريخه طبعة لندن ١٨٤٩ م ، ويشمل أحداث السنوات الممتدة من عام ١٢٤٧ م حتى عام ١١٦٩ م . ولقد

نشر تحت عنوان :

Roger of Wendover, *Builders of History, Comprising the History of England from the Descent of The Saxons to A. D. 1235, Formerly Ascribed to Matthew Paris, trans from the Latin by Giles J. A., Vol. I, London, 1849.*

في هذا الصدد وللمزيد انظر :

Roger of Wendover, op. cit., Vol. I, pp. V — VII.

وايضاً انظر : مصطفى حسن الكتани : العلاقات بين جنوة والفاتميين في الشرق الأدنى (١٠٩٥ - ١١٦٧ م / ٤٨٨ - ٥٦٧ م) ، الاسكندرية ، ١٩٨١ ، حاشية ٢ ص ٢٦ - ٢٧ ، مصطفى حسن الكتاني : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامي (١١٧١ - ١٢٩١ م / ٥٦٧ - ٥٦٠ م) ، الاسكندرية ١٩٨١ حاشية ١ ص ٤٦ .

١٢١٦ / ٥٩٥ - ٥٦١٣) البحث عن تلك المقبرة وخروج جثة أوفا
لدفنه في المكان اللائق به وأحياء ذكراء . كذلك أ Medina برواية هامة
الفحوى ، اذ ذكر أن الملك هنا قد أرسل سفارية من لدنه إلى الخليفة
الموحدى محمد الناصر (٥٩٥ - ٥٦١٠ / ١١٩٩ - ١٢١٣ م) يعلن
فيها استعداده لاعتناق الاسلام والدخول في زمرة الموحدين
وادخال انجلترا تحت راية التوحيد .

والحقيقة أن هاتين الروايتين الخطيرتين لم تساعدنا في تأكيد ما
توصلنا اليه بصدق ترجيح اعتناق أوفا الاسلام فحسب « بل أكدتا أيضا
بما لا يدع مجالاً لبادرة شك صحة ما توصلنا اليه بشأن اعجاب
الملك هنا الشديد بالملك أوفا وسعيه لاحياء ذكراء من ناحية ، ومن
ناحية أخرى ، كانتا لنا خير سند يؤكّد الرأي الذي توصلنا اليه ،
والخاص بترسم الملك هنا خطى أوفا في اعتناق الاسلام ، وارساله
سفارته المشهورة إلى الناصر محمد الخليفة الموحدى كما اسلفنا
تحقيقاً لتلك الخطوة الجريئة التي لو قدر لها النجاح لتغيرت خريطة
أوروبا الغربية ، ولارتقت راية التوحيد في عنان سمائها .

إن أي باحث مدقق ومنصف لا يشك لحظة في صحة هاتين
الروايتين ، اذ أن روجر لم يكن مجرد شاهد عيان معاصرًا للملك هنا
فحسب ، بل كان صديقاً حمياً له أيضاً ، ومن ثم ، كان على علم
بمواطن الأمور بحكم صلته الوطيدة ومكانته القريبة من فكر هنا
وعقله ، وإذا علمنا أن البابوية قد اتهمت هنا بالكفر واعتبرته من
الهرطقة الخارجيين عن الإيمان من جهة ، وسعتها لعزله واصدار
قرارات الحرمان ضده ، وتحريض النبلاء والبارونات الانجليز

والشعب على الثورة ضدّه وعزله ، ومصادر املاكه واغتصابها ، من جهة أخرى لتتأكد لنا على الفور صحة رواية روجر أوف ويندوفور هذه .

ويأتي بعد روجر أوف ويندوفور في الأهمية مصدر آخر بنفس الاسم « زبدة التاريخ » *The Flowers of History* لصاحب المؤرخ الانجليزي متى أوف ويستيمبستر Matthew of Westmimster ، وتنتهي أحداثه في عام ١٣٠٧ / ٥٧٠٧ . ولقد أمدنا بعده روایات ساعدتنا في ربط الأحداث وتنسليتها على امتداد البحث (٢٦) . إضافة لما سبق أمدتنا حوليات المؤرخ روجردي هوفيدن Roger de Hoveden بمعلومات وروایات تاريخية هامة ساهمت في سد بعض الفجوات ، وربط الأحداث (٢٧) .

(٢٦) عرف متى أوف ويستيمبستر بهذا الاسم نسبة إلى مقاطعة ويستيمبستر بإنجلترا ، وكان من أشهر الرهبان البنحكتيين ، لاسف لا نعرف عنه الكثير ، إلا أن شهرته قد ذاعت في القرن الرابع عشر الميلادي . اعتمد في كتاباته على متى الباريسى وروجر أوف وندوفور ونقل عنهم . للمزيد انظر :

Matthew of Westminster, *The Flowers of History*, trans. from the original by C. A. Yonge, Vol. I, (B. C. 4400 to A. D. 1066), London 1853, pp. 1 - III; cf. also:

مصطفى الكنانى : العلاقات بين جنوة والفاتيكان ، حاشية ١ ص ٢٧ ، مصطفى الكنانى : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي ، حاشية ٢ ص ٤٦ .

(٢٧) عرف روجردي هوفيدن بهذا الاسم نسبة إلى ضاحية هوفيدن =

- ٤٥ -

هذا ، ولقد أمدتنا كتابات سيمون أوفر دورهام Simoen of Durham بمادة علمية لا بأس بها ، ويعرف كتابه باسم « تاريخ الملوك Historia Regum » ولقد نشر بالإنجليزية تحت عنوان : « History of The Kings » ، ولقد اعتمدنا على ما نشرته الاستاذة الدكتورة دوروثي وايتلوك D. Whitelock من هذا المصدر في الجزء الأول من مجموعة « الوثائق التاريخية الأنجلizية ^(١٨) »

من ضواحي ايست ريدنج Hoveden في مقاطعة York تولى عدة مناصب منها أستاذ العلوم اللاهوتية في أوكسفورد في عصر الملك هنري الثاني (١١٥٤ - ١١٨٩) . تؤكد كتاباته عن احداث عام ١١٤٠ وما بعدها انه كان شاهد عيان لها . بدأ كتابة تاريخه على الارجح عام ١١٨٩ عقب وفاة هنري الثاني . يعب عليه الخط بين الاحداث وتمسكه بالخرافات وایمانه الشديد بالجن والارواح الشريرة .تناول الجزء الاول من تاريخه والذي اعتمدنا عليه ، احداث السنوات المتعددة من عام ٧٣٢ م حتى عام ١١٨٠ م (الجزء الثاني يبدأ بأحداث عام ١١٨١ م حتى عام ١٢٠١ م) . يتضمن تاريخه تاريخ انجلترا الانجلوساكسونية ، فضلا عن العديد من الرسائل الهمامة المتبادلة فيما بين رجال الكنيسة وغيرهم من العلمانيين الانجليز وبين اقرانهم في الارض المقدسة . وللاسف لا نعرف عن تاريخ حياته الكثير وللمزيد انظر :

Roger de Hoveden, The Annals, Comprising the History, of England and other Countries of Europe from A. D. 32 to A. D. 1201, trans. from the Latin with notes & Illustrations by Henry Riley, Vol. I, (A. D. 732 - A. D. 1180), London 1853, pp. IV - VII.

(٢٨) من المؤرخين الانجليز المشهورين ، له فضل حفظ حوليات نورثمبريا من الضياع بالاشارة اليها في كتاباته . ولد عام Northumbria

=

E. H. D. وما يعب على سيمون أوف دورهام اهتمام العديد من الاحداث الهامة على امتداد عصر أوفا ، واهتمامه الشديد باباراز عظمة شارلان وغيره من كبار رجال الكنيسة الرومانية ، ولعل السبب يعزى في أنه مثل كافة المؤرخين فعل ذلك عن عدم تنفيذا لأوامر البابوية الحاقدة على أوفا ، والكارهة له كراحتها للموت .

كذلك افادتنا كتابات المؤرخ الراهب الويلزي آسر Asser (٣٩) . كاتب سيرة الفريد العظيم التي نشرت تحت عنوان : Asser's «Life of Alfred» ed. W. H. Stevenson, Oxford, 1904.

١٠٦٠ م . ومات على الارجح عام ١١٣٩ م . اعتمدنا على الجزء الاول من كتابه (صدر تاريخه في جزأين) ويشمل أحداث السنوات المتداة من عام ٧٣٢ م حتى عام ١٠٤٢ م . لذا ، فالجزء الاخير من كتابه (احداث السنوات الثلاث الاخيرة على الارجح) قد نسب إليه خطأ . احتوى كتابه العديد من الروايات الهامة التي نقلها عن أصول ضاعت كما أسلفنا ، كما ثبت باليقين نقله من كل من بيد Bede واسر Asser كاتب سيرة الفريد العظيم حتى أحداث عام ٨٨٧ م . أما أحداث ما بعد تلك السنة ، فلقد كتبها هو بنفسه . جدير بالذكر اننا اعتمدنا على ما نشر من تلك الحوليات في الجزء الاول من مجموعة « الوثائق التاريخية الانجليزية » انظر : E. H. D., Vol. I., pp. 263 - 280.

في هذا الصدد ، وللمزيد عن سيرة سيمون أوف دورهام انظر : E. H. D., Vol. I., pp. 127, 263; D. U., p. 1797.

(٣٩) استعنا أيضا بما نشر في « الوثائق التاريخية الانجليزية » عن سيرة الملك الفريد تحت عنوان :

وتعزى أهمية كتاب آسر إلى أنه المصدر الوحيد الذي أكد بناءً أوفاً لأعظم عمل إنشائي أقيم في أوروبا العصور الوسطى ، وأعني بذلك Offa's Dyke « سور أوفاً » العظيم ذي الخندق المشهور باسم Wales البرطانية والذي أنشأه على حدوده مع ويلز وأثبتنا أن بناءه تم من أجل تعويق عبور أعداء البابوية إلى بلاد الانجليز ، للدعائية المغرضة ضد أوفاً وإثارة النفوس للثورة عليه، بسبب ما قام به من أعمال « مضادة للعقيدة المسيحية والكنيسة »، بعد مناقشة موضوعية علمية لكافة الآراء التي قيلت في تبرير اسباب بناء السور ، فضلاً عن أن بناءه يعد دليلاً قوياً على عظم ثروة بلاده»

=

from «Asser's life of King Alfred» cf. E. H. D., Vol. I, pp. 289 - 303.

وتجدر بالذكر ان آسر كان بريطانياً من سكان ويلز ، ويرجع انه ولد عام ٨٥٠ م ، ومات ٩١٠ م للاسف لا نعرف عن تاريخه الكثير . ولقد ذكر الملك الفريد أنه كان من المقربين إليه ، ولقد عمل آسر في وظيفة أسقف مدينة شيربورن Sherborne . احتوى كتابه على العديد من الأخطاء فضلاً عن استطراده في الكتابة والاطناب مما أدى إلى ضياع المعنى وغموضه . يرجح كتابته سيرة الفريد في عام ٨٩٣ م ولقد احتوى معلومات قيمة عن إنجلترا الانجلوساكسونية بعامة وعصر الملك الفريد بصفة خاصة . ويبيّن بعض المؤرخين أن آسر استعان بكتابات اينهارد عن حياة شارلمان ، فضلاً عن نقله من الحوليات الانجلوساكسونية . وللمزيد انظر : E. H. D., Vol. I, pp. 129 - 130; D. U., p. 129.

ومدى ما تمت به أوفا من مكانة وحب في نفوس الانجليز ، وبالمثل كان لقوانين الفريد أثراً في تأكيد ما وصلنا إليه عن عظمة الملك أوفيا من جانب ، واهتمامه بكلالة الأمن والأمان للتجار على اختلاف جنسياتهم في ربوع إنجلترا ضماناً لسيولة ونشاط التجارة ، ومن ثم ضمان المزيد من الرسوم المتحصلة من السلع والبضائع القادمة إلى البلاد ، وللأسف ضاعت تلك القوانين مثل غيرها من وثائق عصر أوفيا ولو لا بشدة الفريد في مقدمته بقوانين أوفيا واعترافه باستعانته بها في إعداد تشريعاته ، مما عرفنا عنها شيئاً البقة (٣٠) .

كذلك أمدنا مصدر آخر برواية هامة أكدت ما وصلنا إليه بشأن الصراع الذي نشب بين أوفيا وشارلمان ، وقرار الأخير بمنع التجار الانجليز من التجارة في مواني ومدن بلاده من جهة، وكراهيته الشديدة لأوفا وتطبيقه مع البابوية للتخلص منه بسبب اعتناقها الإسلام من جهة أخرى ، ولقد استعنت بما نشر في هذا الصدد تحت عنوان « أعمال رؤساء أساقفة فونتنى » *« Acts of the Abbots of Fontenelle »*

• (٣١) St. Wandrille)

(٣٠) عن تلك القوانين انظر E. H. D., Vol. I, pp. 407 - 416

(٣١) وردت تلك الرواية في الجولية المذكورة عاليه ، ولقد كتبها عدد من رؤساء أساقفة دير فونتنى أو دير القديس فاندرى (St. Wandrille) ولقد عرف الدير باسم صاحبه الذي بناه ، وكان من طبقة النبلاء ، ولقد ولد في مدينة فردان Verdan بفرنسا عام ٦٢٩ ومات عام ٦٦٦م . ولقد نشرت تلك الجولية كاملة بواسطة ف. لوهيير ، وج

هذا ، واذا كنا قد تناولنا بالتحليل والدراسة مصادر المؤرخين المعاصرین وشهود العيان للفترة الزمنية موضوع البحث وغيرهم من المؤرخين المتأخرین زمنیاً . يجب الاشارة هنا الى بعض الأصول السابقة لعصر الملك أوفا ، التي كانت لها أهميتها في كشف ظروف قدوم الغزاة الانجلوساکسون ونجاجهم في السيطرة على بريطانيا واقامتهم مما لكم السبع المشهورة باسم الهبتارکی ، وبالتالي كشفت لنا ظروف تربع الملك أوفاً على عرش مرسیا MERCIA ، وحيث انطلق بعدها ليحقق أسمى آماله بتوحید الأمة الانجليزية تحت زعامته ، وما تبع ذلك من أحداث تركت بصماتها على امتداد الفترة الزمنية للبحث (٧٩٦ - ٧٥٧) .

ونخص بالذكر من هذه المصادر كتاب « بيد Bede » (٣٢) ، ولقد اعتمدنا على الترجمة الانجليزية له التي نشرت تحت عنوان :

لابورت Lohier & J. Laporte =
Gesta Sanctorum Patrum Fontenellensis, Societe de L'Historie de
Normandie (Rouen & Paris, 1963), cf. E. H. D., Vol. I, p. 341 cf.
Also: D. U., p. 675; p. E. P., p. 78.

(٣٢) ولد « بيد Bede » أو « بیدا Beada » عام ٦٧٣ م في مدينة Wearmouth بكونتية دورهام Durham بإنجلترا ، وتقع على نهروير Wear على بعد أربعة عشر كيلومترات جنوب نيوکاسل Newcastle . أرسله والده وهو في السابعة من عمره إلى بندكت رئيس الرهبان لتربيته وتعليمه ، وفي عام ٦٨٢ م انتقل بيد إلى دير القديس بول Ceolfrid في جارو St. Paul حيث أشرف على تعليمه كيولفريد =

«*Tاريخ الكنيسة والشعب الانجليزي A History of the English church and people*» ولقد أمننا المصدر بمعلومات قيمة للغاية عن أحوال قدوم الغزاة الانجلوساكسون ، وأسباب وظروف قدومهم والنتائج التي ترتبت عليه ، والتي كان من المحتم علينا الاستعانة بأهم خطوطها العريضة كمدخل طبيعي للموضوع ، انطلاقنا عبره الى عصر أوفرًا موضوع البحث الرئيسي .

وتناهى بعد «*بيد*» في الأهمية كتابات المؤرخ جوفري أول مونموث *Geoffrey of Monmouth* ، ولقد اعتمدنا على الترجمة الانجليزية تحت عنوان : «*تاريخ ملوك بريطانيا The History of the Kings of Britain*» ، ويتضمن المصدر معلومات قيمة عن أحوال ما قبل عصر أوفرًا ، أفادتنا مثل كتابات *بيد* في تفهم أحوال

كبير الاساقفة ، وظل هناك حتى وفاته عام ٨٣٥ م . تدرج *بيد* في الوظائف الكنسية حتى مرتبة القس ، ولنبوغه كان يعنى من شرط السن عند الترقى للوظيفة الاعلى . هذا ، وفي عام ٢٠١٤م نقلت رفاته إلى كنيسة دورهام الرئيسية حيث دفن بجوار القديس جوثبرت *St. Guthbert* وللمزيد انظر :

Bede, *A History of the English Church and people*, trans, with an introduction by Shcrely leo Price, London, 1968, pp. 15 - 21; E.H.

D., Vol. I, pp. 639 - 40; cf. also: P. E. P., p. 231; D. U., p.2037;

جدير بالذكر أننا اعتمدنا أيضًا على طبعة دورشى وايتلوك انظر .

Bede's «*Eccllesiastical History of the English Nation*», cf. E. H. D., Vol. I, pp. 639 - 747.

الأنجلوساكسون وظروف قدومهم إلى بريطانيا ونتائجها . إلا أن المؤرخ يعاب عليه كراهيته الشديدة للأنجلوساكسون وتعصبه الأعمى للبريطانيين ، فضلاً عن تعمده عدم الاشارة من قريب أو بعيد إلى الملك أوفاً كدأب غيره من المؤرخين (٣٣) . هذا ولقد أفادتنا أيضاً حوصلية مؤرخ مجهول *Anonymous* ، نشرت تحت عنوان «*تتمة بيد The Continuation of Bede*» أو ان صح لى التعبير «*ذيل تاريخ بيد*» ، حيث حصلنا منها على معلومات طيبة كشفت لنا ظروف توقيع

(٣٣) عرف بهذا الاسم نسبة إلى مونموث Monmouth في ويلز Wales وتقع عند تقاء رافدي نهر واي Wye ومنو Monnow . تخرج في السلك الكنسي حتى وظيفة قس في ويستيمينستر Westminster ذكر أن هدفه من الكتابة أحيا ذكرى وتاريخ ملوك بريطانيا ، وتبعد أصول البريطانيين على امتداد الف وتسعمائة سنة تقريباً . بدأ تاريخه بالاشارة إلى البطل الأسطوري القرطاجي بروتوس Brutus وظروف قدومه ورفاقته إلى جزيرة ألبيون Albion التي عرفت فيما بعد باسم بريطانيا Britain نسبة إليه ، حيث ذلك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد حسبما ذكر جوفري في روايته . ولقد أنهى كتاباته بسرد تاريخ آخر ملوك بريطانيا كادويلادر Cadwellader (ت . عام ٦٨٩م) ، وأسباب احتيال الغزاة الأنجلوساكسون ببريطانيا ونتائجها . في هذا الصدد وللمزيد انظر :

Geoffrey of Monmouth, *The History of the Kings of Britain*, trans. with an introduction by Lewis Thrope, London, 1978, pp. 9 - 35.

أوفاً عرش مرسيا عقب مصرع ابن عمه ايزيلبالد عام ٧٥٧ م (٣٤) *

ومن الاممية بمكان الاشارة هاهنا الى أننا لم نجد في المصادر الاسلامية ما يشير من قريب أو بعيد الى موضوع البحث . لكننا رجعنا الى كتابي « نهاية الأرب في فنون الأدب » ، والترغيب والترهيب » لكل من النووي (٣٥) (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) والمنذري (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) (٣٦) على التوالي ، ولقد أكدنا الرأى الذي وصلنا اليه ، والخاص بوصول فكرة اعتناق الاسلام الى مسامع الملك أوفا عن طريق أي من مبعوثي الخلافة العباسية الذين قدموا لعقد الاتفاقيات التجارية معه ، أو عن طريق التجار المسلمين الذين أكدنا كثافة تواجدهم في انجلترا في تلك الاونة وذلك ترسما لخطى جعفر

(٣٤) تشمل الحولية أحداث انجلترا من عام ٧٣٥ م حتى ٧٦١ م . وبإضافتها إلى حولية سيمون أوف دورهام (٧٣٢ - ١٠٤٢ م) فإنها يكونان مما أهم مصادر القرن الثامن الميلادي في انجلترا : انظر :

E. H. D., Vol. I, pp. 285 - 86.

(٣٥) النووي الكندي (ت ٨٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب في فنون الأدب ، وزارة الثقافة والارشاد ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، الجزء الثامن عشر ، القاهرة ١٩٥٤ م .

(٣٦) المنذري (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) ذكي الدين عبد العظيم بن عبد القوى : « الترغيب والترهيب » اصدار مكتبة الدعوة الاسلامية وشجاع الازهر) ، ج ٢ ، القاهرة (بدون تاريخ) *

ابن أبي طالب رضي الله عنه ، الذي نجح في اقناع النجاشي ملك الحبشة باعتناق الاسلام من جهة، وتشبيها بدور التجار الدعاة والمبشرين المسلمين في نشر الاسلام في جزر وبلاد جنوبى شرق آسيا ، وشرق وغرب ووسط افريقيا من جهة أخرى . ولا شك في صحة ذلك الرأى ، اذ أن الاسلام رسالة عالمية بدليل قوله تعالى لرسوله الكريم « قل يأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض، لا اله الا هو يحيى ويميت، فامنوا بالله ورسوله النبي الامى الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون » (الاعراف: ١٥٨) .

هذا عن أهم المراجع من المصادر الأصلية المعاصرة للفترة الزمنية موضوع البحث والسابقة عليها والمتاخرة عنها زمنياً. أما عن المراجع الثانوية فهي بدورها تتقسم إلى قسمين ، أجنبية وعربية . ولاشك أنها قد احتوت العديد من الافكار والاراء التي أفادتنا في بعض جوانب البحث . ولقد اتفقنا مع بعض ما جاء بها من آراء ، وخالفناها في كثير من الاحيان ، مدعين وجهة نظرنا بما حصلنا عليه من حجج وأسانيد اعتمدناها من المتابع والاصول . كما اضفتنا العديد من المعلومات الجديدة اعتمادا على ما من به الله تعالى علينا من معلومات استقيناها من الوثائق والمصادر التي حصلنا عليها من الخارج .

هذه دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث ومنابعه ، والتي حصلنا منها على مادة البحث ، وجدير بالذكر في هذا الصدد ، أن كافة المصادر والمراجع وغيرها من دوائر المعارف والمعاجم العالمية

المتخصصة ، لم تنشر من قريب أو بعيد إلى مفهوم ودلالات عبارة التوحيد الإسلامية المنقوشة على دينار أوفاً الذهبي ، ناهيك عن ضياع كافة وثائق عصره ولا شك في أن هذا يعزى في المقام الأول والأخير إلى أوامر البابوية والكنيسة لطمس معالم تاريخه الحقيقية ، بسبب اعتناقها الإسلام ، وحتى لا يظهر من يحتذى حذوه في هذا الصدد ، ولعل ذلك يفسر سبب التخلص من أوفا بعد وفاته بدفنه في مكان مجهول داخل مبني متواضع لا يليق بمكانته كواحد من أعظم الملوك في أوروبا العصور الوسطى على وجه الاطلاق . والحمد لله من قبل ومن بعد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« ولكل أمة أجل ، فإذا جاء أجلهم لا يستأذرون
ساعة ، ولا يستقدمون »

(الاعراف : ٣٤)

الفصل الأول

— ٥٧ —

أوفاً وتوحيد ممالك الأنجلوسаксون

٧٩٦ - ٧٥٧

— أحوال بريطانيا قبيل عصر أوفا ، وظروف توليه عرش
مرسيا عام ٧٥٧ *

— حروب أوفاً وجهوده الدبلوماسية لتوحيد ممالك
الأنجلوسаксون ، ونتائجها *

— بعثة البابا أدريان الأول الى إنجلترا عام ٧٨٦ ، أسبابها
ونتائجها *

— مصرع ايثلبرهت ملك ايست انجليا ، وذبحه على يد أوفاً
عام ٧٩٤ ، دلالاته ونتائجها *

— ردود فعل البابوية وشارمان المضادة لسياسة أوفاً .
أسبابها ونتائجها *

بادىء ذى بدء ، ولكن نتفهم حقيقة عصر الملك أوفا وأهم أعماله التي قام بها أجل توحيد ممالك الأنجلوساكسون ورفعه شأنها ، وما هيتها وخصائصها ، فضلا عن نتائجها القريبة والبعيدة ، ينبغي الاشارة باختصار الى أسباب قدوم الغزاة البرابرة الأنجلوساكسون الى الجزيرة البريطانية ، فما تلا قدومهم من أحداث أدت الى انتقامتهم بالبلاد واقامة ممالكهم بها ، وذلك كمدخل طبيعي لتقديم ظروف تولية الملك أوفا عرش مرسيا ، وما ترتب على ذلك من انطلاقه عبرها للهيمنة على كافة الممالك الانجلوساكسونية ، وتوحيدها لأول مرة في التاريخ . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى، كشف ماواكب تلك الانطلاقات من أحداث تمضي عنها نتائج هامة مست الموضوع مسا مباشرا وأثرت على مجريات الامور على امتداد البحث .

اذا عدنا قليلا الى الوراء ، لنلقى نظرة عامة على مسرح الأحداث ، نجد أن بريطانيا على امتداد الفترة الزمنية الممتدة من منتصف القرن الرابع الميلادي حتى منتصف القرن السادس الميلادي، قد تعرضت لأول دفعة من الغزاة الجerman ، الذين اصطلح المؤرخون على تدعيفهم باسم الانجلوساكسون Anglo-Saxons أو الساكسون Saxons ، وهم عبارة عن خليط تكون من ثلاثة مجموعات بشريّة رئيسية اندمجت معا تحت أي من التسميتين السابقتين ، وهي :

الساكسون Saxons ، والانجلز Angles والجوت Jutes وكانت تلك الجماعات بعد اندماجها معا قد غزت الجزيرة البريطانية

دون مقاومة تذكر من البريطانيين (Britons) سكان الجزيرة الأصليين ، والذين بعد أن فشلوا في مواجهة هؤلاء الغزاة وهزموا على أيديهم مرارا ، هربوا انقاذا لحياتهم إلى قمم الجبال والغابات الكثيفة ، ثم اتجهوا أخيرا إلى ناحية الغرب حيث استقروا في ويلز Wales التي اتخذوها مستقرًا لهم ومقاما (١) .

(١) قم للغزاة الانجليوساكسون من حول مناطق بحر الشمال : جوتلاند Jutland وببلاد الدانمرك ، والمنطقة الممتدة جنوبها بعامة ، وألمانيا بصفة خاصة . ولقد أشارت الحوليات لتعرض بريطانيا إلى غزوات جماعتي البكتيين Picts ، والسكوتلانديين Scots والجماعتان من سكان كالدونيا القديمة Caldonia (سكتلاند) وهم الايرلنديون والسكوتلانديون . حيث ذلك في أواخر النصف الاول للقرن الخامس الميلادي عقب انسحاب الرومان من بريطانيا (٤٤٢ م تقريبا) . ولقد استدعي الطاغية فورتيجرن Vortigern ملك بريطانيا (٤٤٥ - ٤٨٥ م تقريبا) البرابرة الساكسون لمساعدته ضد الغزاة البكتيين والسكوتلانديين الذين اكتسحوا البلاد من الغرب والشمال ، وبالفعل قدم الساكسون وخلصوا بريطانيا من اخطار الغزاة ، وكان جزاؤهم العديد من المناح والعطايا في شكل أرض وعقارات . وسرعان ما تحول الحفاء إلى أعداء ، واجتاحت الساكسون الجزيرة ، وهزموا البريطانيين الذين استقروا أخيرا في ويلز غربا كما أسلفنا عليه . ومنذ ذلك الحين فصاعدا عرفت بريطانيا باسم انجلترا نسبة إلى الانجليز (أو الانجليز) Angles . هذا ، وجدير بالذكر أننا نحن بلفظتنا (الانجليز)

هذا ، وبعد صراع مميت شب فيما بين زعماء هؤلاء الغزاة استقلت كل جماعة منهم مكونة مملكة خاصة بها ، ومن ثم تكونت سبع ممالك رئيسية ، عرفت باسم الملك السبع أو الهيباركي *Sussex Wessex Hiptarchy* واسكس *East Anglia Essex* وايست أنجليا (أنجليا الشرقية)

=

و «إنجلترا» على امتداد البحث «عبارة (جماعات الانجلوساكسون) (وبريطانيا) بعد قدم الانجلوساكسون على القوالى ، حيث درج المؤرخون على استخدامهما بنفس المعنى بعد قيوم البرابرة الجerman الانجلوساكسون الى الجزيرة البريطانية في هذا الصدد وللمزيد انظر :

Bede, The History of the English Church & People, trans. by Leo Sherley, London 1968, pp. 34, 38f., 51 - 58, 92 f., 108; Bede, Ecclesiastical History of the English Nations», cf. E. H. D., Vol. I, p. 645 f.; Geoffrey of Monmouth, The History of the Kings of Britain, pp. 54, 123 - 128, 144 - 147, 155 - 166, 186 - 204, 209 ff.; Roger of Wendover, Op. Cit., Vol. I, p. 53. cf. also: Stenton, Sir F., Anglo-Saxon England, 3ed., London 1984, p. 1 ff.; Fisher, H. A. L., A History of Europe, London 1937, p. 122ff.; D. U., pp. 81, 849 f., 881, 9736, 2028; p. E. p., pp. 136, 375; cf. also.

سعداوي : المرجع السابق ، ص ٢٧ - ٣٣ ، راوس (٠١٠٠) .
التاريخ الانجليزي ، نقله الى العربية د. محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص ١٥ - ٢٧ ، محمد مرسي الشيخ : المالك
الجرمانية فى أوروبا العصور الوسطى ، الاسكندرية ١٩٧٥ ، ص
٢٢٠ - ٢٢٥ ، ديفيز (٥٠٠) : أوروبا فى العصور الوسطى ،
ترجمة د. عبد الحميد حمدى محمود ، الاسكندرية ١٩٥٨ ، ص ٣٢ .

وهرسيا Mercia ، ونورثمبريا Northumbria ، وكنت^(٢) Kent . ولقد آلت الزعامة على تلك الممالك في بداية الامر الى كانت Kent ، ثم انتقلت الى نورثمبريا Northumbria وأخيرا هيمنت مرسيا Mercia على الامور ، ودان لها الجميع بالولاء والطاعة . وفي عهد اعظم ملوكها أوفا Offa (٧٥٧ - ٧٩٦) سيطرت مملكة مرسيا على كافة انجلترا المعروفة اليوم ، فاستحق أوفا بجدارة لقبى « ملك انجلترا Rex Anglorum » و « ملك كل بلاد الانجليز Rex totius Anglorum Patriae » فضلا عن لقب « ملك مرسيا العظيم »^(٣) .

(٢) اختص الساكسون بالمملك الثلاث الاولى ، وكلها في الجنوب تقريبا أما الثلاث التاليات فقد كانت من نصيب الانجلز ، وتقع نورثمبريا في الشمال ، ومرسيا في الوسط ، وأنجليا الشرقية في الشرق . أما الجوت فقد استقروا بالملكة الاخيرة وهي في الجنوب أيضا . وجدير بالذكر أن الساكسون قد حكموا ممالكهم طبقا لحق الانتساب للآلهة الجرمانية الوثنية بعامة ، والى الله ودن Woden الله الحرب والملاحم بصفة خاصة . انظر

cf. Bede, op. cit., p. 56; E. H. D., pp. 10 - 22; D. U. p. 865; Sh Camb, Med. Hist., vol. I, p. 168 ff.; Fisher, op. cit., pp. 123, 177; p. E. P., pp. 223, 250, 338, 534, 707, 800; cf. also:

راوس : السابق ، ص ٢١ ، سعداوي : السابق ، ص ٣٧ - ٤٥
ديفizer : السابق ، ص ٣٢ .

Cart. Sax., Nos. 208, 213 - 214.

(٣)

ومن الأهمية بمكان الاشارة الى أن مملكة مرسيا (٤) على امتداد الثلاثة أرباع الاولى للقرن السابع الميلادي كانت مجرد دويلة لا حول لها ولا قوة ، مندرجة في الاتحاد الكونفيدرالي الذي يضم المالك الانجليزية الواقعة جنوبي نهر الهمبر Humber تحت زعامة ايزلبرت Eathelbert ملك كنت (ت ٦١٦ م) . والثابت أن ملوك مرسيا السبعة الاول لم يستكينوا وظلوا يخططون لتدعمهم استقلال مرسيا والنهوض بها ، بتشييط التجارة وتشجيع الزراعة والصناعة ، مستغلين موقع مرسيا التجارى الهام ، لكونه مركز اتصالات له أهمية في وسط انجلترا . لقد تم ذلك بدأءاً بعصر الملك بندرا Penda (٦٣٢ - ٥٦٤ م) ، ومروراً بعصور كل من الملوك : بيدا Peada (٦٥٤ - ٦٥٦ م) ، وولفهير Wulfhere (٦٥٧ - ٦٧٤ م) ، وايزلريد Coenred (٦٧٤ - ٧٠٤ م) ، وكويينرد Ethelred (٧٠٤ - ٧٣٢ م) .

=

Letter of Charles the Great to Offa King of Mercia (796), cf. E. H. D., Doc. No. 197, p. 848f.; cf. also: Brondsted, J., *The Vikings*, London 1975, p. 16f.; Ch. E., vol. X, p. 194.

(٤) يقال ان اسم مرسيا « Mercia » مشتق من الاسم القبلي Mierce أو هو تحريف له ، ومعناه شعب أو سكان الحدود . وتذكر الروايات أن سكان مرسيا في القرن السابع وحتى نهاية النصف الاول من القرن الثامن الميلادي كان يقدر عددهم بحوالى اثنى عشر ألف أسرة : تعيش سبعة آلاف أسرة منهم في المنطقة الممتدة شمال نهر الترنت The Trent . أما الأسر الأخرى فكانت تعيش جنوبى النهر نفسه . هذا ومرسيا اليوم تمثلها تقريباً المقاطعات والمناطق الاقية :

=

— ٧٠٩ م) ، وكيلرد *Ceolred* (٧١٦ - ٧٠٩) ، وانتهاء بعصر الملك ايزلبالد *Eathelbald* (٧٥٧ - ٧١٦) .^(٥)

=

ستافورد شاير *Staffordshire* ، ودربي شاير *Derbyshire* ، نوتينجهام شاير *Nottinghamshire* ، والمنطقة الواقعة شمال كل من مقاطعى ورويك شاير *Warwickshire* ، وليسنترشاير *Lecestershire* .
انظر :

Bede, op. cit., p. 185; also: Stenton, op. cit., pp. 38 - 42; Hart, C., The Kingdom of Mescia, cf., Mercian Studies, ed. Dornier, Leicester, 1977, pp. 47, 49; Sh Camb, Med. Hist., vol. I., p. 179; p. E. p., p. 482; E. B., vol. VI, p. 800.

(٥) يعتبر بإندا (٦٣٢ م - ٦٥٤ م) المؤسس الحقيقي لملكة مرسيا ، ولقد أشادت ببطولته قصص البطولة الجرمانية *Germanic Saga* وأبرزت استبساله في الدفاع عن مرسيا حتى الموت عام ٦٥٤ م . وبموته خلفه ولده « بيدا » الذي اغتيل بتدبير من زوجته عاصم ٦٥٦ م ، وخلفه على العرش شقيقه « ولفير » لمدة سبع عشرة سنة ، ثم شقيقه « ايزلريد » الذي اعتزل العرش بعد حكم استمر ثلاثة سنين ، تفرغ بعدها للعبادة في دير لينتسى *Lendsey* وتولى بعده « كويينرد » ابن أخيه « ولفير » الذي اعتزل بدوره العرش عام ٧٠٩ م ، خلفه « كيلرد » أحد أبناء ايزلريد المذكور آنفا ، وكان شابا فاستقا خميرا ، وبموته انقطعت سلالة أسرة بإندا مؤسس المملكة . ولقد خلفه على العرش « ايزلبالد » حفيد المدعو « ايوا *Eawe* » شقيق بإندا ، وكان ايزلبالد يعيش في المنفى ، ثم عاد عقب موت كيلرد وتولى الحكم . هذا وبعد جهود وحروب شرسة بينه وبين ملكتي وسكس وكتن ، اخضع ايزلبالد الملوكين

هذا ، ويعتبر الملك ايزلبالد واضع اللبننة الاولى في صرح وحدة الأنجلوساكسون أو الأمة الانجليزية – ان جاز لى التعبير تحت سيادة مرسيا ، فعلى امتداد عصره الطويل نسبيا (٤١ سنة) خاض حربا طاحنة في هذا السبيل ، وكانت المحصلة أن دبرت مؤامرة أودت بحياته غدرا عام ٧٥٧م ، بعد أن كان قد نجح فيضم كل من مملكتي وسكس وكنت ، فضلا عن الاراضي الواقعة فيما بين نهر الهمبر والقناال الانجليزي في اتحاد كونفيدرالي مع مرسيا برئاسته ، واعترف به ملوكها برتوالدا Bertwilda أى حاكما

=

وضمهما في اتحاد كونفيدرالي بالإضافة إلى غيرهما من الاراضي تحت زعامته منتهزا فرصة موت ملك كنت ويهتريد Wihtred (٧٢٥م) ، وتنازل ملك وسكس أين Ine عن العرش (٧٢٦م) ، وأضعا بذلك النواة الأولى لوحدة الأمة الانجليزية التي أتمها أوفا من بعده كما سنوضحه بالتفصيل فيما بعد . انظر Bede, op. cit., pp. 158, 176, 177, 185 201, 207f., 212, 226., 243: 248, 305, 312, 334f.; Bede, op. cit., cf. E. H. D., Vol. I, pp. 690 - 95, 705f.; The Laud Chronicle, cf. The Anglo-Saxon Chronicle, trans. & ed. by G. N. Garmonsway, London 1977, p. 40; The Parker Chronicle, cf. The Anglo-Saxon Chronicle, trans. & ed. by G. N. Garmonsway, London 1977, p. 40; The Anglo-Saxon chronicle, cf. E. H. D, vol. I, p. 176 f. & the notes; cf. also: Stenton, op. cit. pp. 203, 230; Wilson, D. The Anglo-Saxon, London 1972, pp. 30 - 31.

إنجلترا (٦) . وهكذا مهد إيزلبلاد الطريق أمام ابن عمه وخليفته الملك أوفاً لاتمام بناء صرح وحدة الأمة الانجليزية ، ولقد نجح في هذا الصدد أيّما نجاح ، كما سنتوضّح بالتفصيل في حينه .

(٧) اغتيل إيزلبلاد بواسطه أحد حراسه الخصوصيين أثناء نومه ليلاً في مدينة سيكنجتون Sekangton بالقرب من تامورث Tamworth ودفن في ريبتون . ولقد اختلفت الآراء حول أسباب مصرعه ، فالمؤرخ ستنتون Stenton يعزى موته إلى بطشه وجبروته ، مما أغضب المحيطين به ، وقرروا قتله . وهناك رأي آخر نميل إلى الاخذ به لاتفاقه والآحاد ، وأعني ما ذكره المؤرخ روجر هوفيدن ، ومفاده أن ملك وسكس الداعو جوثريد Guthred (ت . اوآخر عام ٧٥٦) قد تأمر مع بيورنرد للخلاص من إيزلبلاد مقابل عرش مرسيا فقام الأخير بقطع رأس إيزلبلاد وتولى العرش بالفعل ، فكان أن نشبّت الحرب الأهلية ، وأعادتى أونها العرش بعد فرار بيورنرد خارج البلاد . في هذا الصدد ، وللمزيد انظر :

The Parker Chronicle, pp. 46 - 47; N. 5; The Laud Chronicle, pp., 49 - 59; Roger de Hoveden, The Annales, The History of England and other Countries in Europe, from A. D. 732 to A. D. 201, Trans. from the Latin with notes & Illustrations by Henry T. Riley, London 1885, vol. I, pp. 2 - 5 & n. 20, p. 5f.; Simeon of Durham, «Historia Regum» (History of the Kings), cf. E. H. D., vol. I, p. 266; Anonymous, The Continuation of Bede, cf. E. H. D., vol. I, p. 286 & n. 2;

The Anglo-Saxon Chronicle, cf. E. H. D., vol. p. 176f., & The notes; cf. also. Stenton, op. cit., p. 204f.; Wilson, op. cit., p. 30 f.; Sh. Camb, Med. Hist., vol. I, p. 179 f.

مهما يكن من أمر ، فعقب مصرع ايزيلبالد تفككت، عرى روابط الاتساد الكونفيدرالي الآنف الذكر ، واغتصب بيورنرد Beornred المجهول النسب العرش . لذا ، ولعدم نجاحه في تأكيد صحة نسبة الملك إلى الآلهة الجermanي دون Woden حسبما هو متبع عند تولية الملوك الانجلوساكسون العرش طبقاً للعرف السائد عندهم ، ثار المرسيون Mercians ضد بيورنرد بزعامة أوفا ، وأستعرت نيران الحرب الأهلية في مرسيا ، وكانت المحصلة انتصار أوفاً وفرار بيورنرد ، وتربع الأول على عرش المملكة قبل نهاية عام ٧٥٧^(٢) ، وأضعا بذلك الخطوط الأولى لبداية تاريخ عظمة ونهضة إنجلترا ، ليس في العصور الوسطى فحسب ، بل وعلى امتداد عصر النهضة وببداية العصر الحديث أيضاً .

هذا ، وبعد تولية أوفا أمور مرسيا كما أسلفنا ، وعلى امتداد السنوات السبع التي تلت توليته العرش (٧٥٧ - ٧٦٤) سعى أوفا جاهداً لرأب الصدع الذي أصاب وحدة شعب مرسيا ، والذي تم خض عن الحرب الأهلية التي نشببت عقب مصرع ايزيلبالد . ولقد استعد الملك أوفا بعد ذلك عسكرياً من أجل اخضاع باقي المالك وتوحيدها تحت سلطان مرسيا ، بادئاً أولى خطوات سياسته التوسيعية

The Laud Chronicle, p. 49.; The Parker Chronicle, pp. 46, (٧)
50; cf. also: Stenton, op. cit., p. 203 cf. also: Note N. 6 the above
mentioned before.

تلك بعزو مملكة كنت عقابا لها على خروجها عن سلطان مرسيا ، منتهزة فرصة نشوب الحرب الاهلية التي عمت مرسيا عقب مصرع ايزليمالد كما أوضحنا من قبل ٠

مهما يكن من أمر ، فلقد أشارت المصادر الى أن أوفا بعد أننظم قواته العسكرية وحشدتها ، خرج بحده وحديده ، فهاجم كنت Kent وأعادها الى سلطانه داخل اتحاده الكونفيديرالي الجديد عام ٧٦٤ ٠ فهناك وثيقة تؤكد ظهور الملك أوفا في كانتربيوري Canterbury عاصمة كانت في النصف الثاني من عام ٧٦٤ بمصحبة كل من هيبيرهت Heahberhet ملك كانت ، ورئيس اساقفتها ، حيث أصدر أوامره بمنح اقطاعية الى أسقف فريندزبيوري Frindsbury وكانت تلك الاقطاعية ذاتها قد منحها ملك كانت من قبل الى أسقف روتشيستر Rochester عام ٧٦٢ ٠ وقد أشارت الوثائق مرة ثانية الى منح أوفا نفس القطعة الى أسقف فريندزبيوري الانف الذكر في بداية عام ٧٦٤ ٠ مما يؤكد خصوص كانت لسلطان أوفا المباشر قبل نهاية عام ٧٦٤ ٠ وخللت هكذا حتى نهاية عام ٧٧٤ ٠ شفى تلك السنة ثار الكنتيون ضد مرسيا ، وانتصروا على أوفا وظلوا أحرازا حتى عام ٧٨٤ ٠ حيث استطاع أوفا أن يستعيد هيمنته على كانت وحكمها بقبضة من حديد حتى نهاية عصره عام ٧٩٦ ٠ يؤيد ذلك الرأى ما أشارت اليه الوثائق الساكسونية عن منح أو

قطعة من الأرض إلى رئيس أساقفة كانتربيوري في نهاية عام ٧٧٤ دون أن تذكر اسم حاكم كنت آليته^(١) ، مما يؤكد خصوص مملكة كنفتن لسلطان مرسيا المباشر في تلك الأونة . ويبدو أن كبار الزعماء الكتتين قد آلمتهم تلك السيطرة ، فخططوا للثورة ضد أوفا والانسلاخ عن سلطان مرسيا ، فكانوا أن حشدوا قواتهم وهاجموا أوفا في نهاية نفس العام (٧٧٤) ، يؤيد ذلك الرأي ما أشارت إليه المصادر عن نشوب قتال شرس فيما بين جيوش الطرفين في موقعة أوتفورد Otford عام ٧٧٤^(٢) ، واللاحظ عدم اشارة أي من المصادر على وجه الاطلاق إلى نتيجة تلك المعركة من قريب أو بعيد ، في حين أن البعض اعتبرها نصرا حاسما للملك أوفا^(٣)، بينما صمت الآخرون دون تعليق يذكر على نتائجها .

Cart. Sax., Nos. 213, 214 cf. also: Stenton, op. cit., p. 207. (٩)

The Anglo-Saxon Chronicle, cf. E. H. D., vol. I, p. 178; The (١٠)
Laud Chronicle, p. 50; Roger of Westminster, vol. I, p. 361; Roger
of Wendover, vol. I, p. 152; Roger de Hoveden, Vol. I, p. 25.

(١١) اختلفت حوليات في تحديد عام المعركة . فهناك أربع حوليات حددها عام ٧٧٤ واثنتان قالتا بحوتها عام ٧٧٣ م . ويلاحظ أن المؤرخ المشهور ستنتون قد حددها في عام ٧٧٦ م ، وهذا خطأ، علما بأنه لم يسر إلى المصدر الذي اعتمد عليه ، ولعله أخذ التاريخ قياسا على حوليه باركر The Parker Chronicle التي قالت بحوث المعركة في الفترة الممتدة من عام ٧٧٣ حتى عام ٧٧٦ م . انظر مصادر الحاشية السابقة (١٠) ، وأيضا انظر :

Stenton, op. cit., p. 207 & N. 5. cf.

هذا ، وإذا نظر الباحث المحقق في وثائق كنت الصادرة في سنوات ما بعد المعركة ، نجده لا يتحفظ في قبوله للرأي القائل بانتصار أوفا فحسب ، بل الجزم بهزيمته هزيمه نكراه كانت لها آثارها الهامة على مسار الأحداث فيما بعد . وآية ذلك الرأي ، أن الوثائق لم تنشر بأي حال من الاحوال الى اسم الملك أوفا في كافة الوثائق التي صدرت في كنت على امتداد السنوات التالية لمعركة أوتفورد (٧٧٤ - ٧٨٤) كما كان الحال من قبل تلك المعركة . فعلى سبيل المثال صدرت وثيقة في كنت مؤرخة في عام ٧٨٤م ، تفيد أن المدعو « ألموندوس Ealmandus » قد أصدر أوامره « بمنح قطعة أرض في مملكته إلى أسقف ريكفلر Reculver » دون أن تشير الوثيقة من قريب أو بعيد إلى الملك أوفا كما كان الحال في وثائق ما قبل المعركة المذكورة (١٢) . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، أشارت الروايات التاريخية إلى توثر علاقات أوفا مع كنت عقب هزيمته في أوتفورد ، وظل الحال هكذا على امتداد تلك السنوات العشر ، التي استغلها أوفا في إعادة تنظيم صفوفه للتأثير من هزيمته السابقة ، مع التحرش بكت لجرها إلى معركة استعد لها تماما . لهذا ، ومكرا منه ، وتمهيدا لغزو كنت لاشباع رغبته في النثار منها ، أصدر الملك أوفا عدة قرارات تتلخص في سلب اختصاصات

(١٢) اكتشفت تلك الوثيقة في القرن الثالث عشر ، ولقد أوردت المراجع اسم ملك كنت بعد ترجمته إلى الانجليزية بهذا الشكل Ealhunund cf. Stenton, op. cit., p. 207 and N. 7.

رجال الكنيسة ، وعلى رأسهم رئيس أساقفة كانتربيري الذي جرده من سلطاته تماماً . وفي نفس الوقت ، واثارة للبابوية المتناحفة مع كنفالت ، وتدميرها لسلطان الكنيسة الرومانية في إنجلترا ، أصدر أوفا قراراً بإنشاء أسقفية في ليتش菲尔د Lichfield ثم فجأة اتخذ عدة قرارات للاسف لم تحدد المصادر أو المراجع كنفيتها ، ولقد بلغت تلك القرارات « كما ردت الشائعات المتواترة » حداً من الخطورة لدرجة أن البابوية اعتبرتها « خطراً ما حقاً هدد إنجلترا كلها بالخروج من حظيرة المسيحية ، والتحرر من سلطان البابويين » (١٣) المتسلط عليها .

هذا ، ويبدو أن البابا لخطورة القرارات التي أصدرها أوفا قد عقد تحالفًا مع ملك كنفالت ، وحرضه على مهاجمة مرسيا للتخلص من أوفا ، مذكراً إياه بامكانية تكرار الانتصار السابق الذي حققه كنفالت في عام ٧٧٤م . ولكن الكنفيتين فوجئوا بالملك أوفا يعاجلهم بالهجوم بعد أن علم بالخبر بطريقة أو بأخرى ، فهزمه هزيمة ساحقة كما أشارت الوثائق في بداية عام ٧٨٥م ، واكتسح بعدها كنفالت ، ثم أعلن ضمها لاملاكه حيث ظلت تحت سلطانه المباشر حتى

(١٣) من المرجح أن تلك القرارات الخطيرة التي اتخذها أوفا والتي حدثت الوجود المسيحي في إنجلترا بالزوال ، تتلخص في اعتناقها الإسلام ، وأصداره ديناره المشهور ذي عبارات التوحيد الإسلامية ، بحليل ارسال البابا بعثة ٧٨٦م ، التي سوف نشير إليها بالتفصيل فيما بعد انظر : Stenton, op. cit., pp. 207, 215, 216 & The notes.

وفاته فى عام ٧٩٦ م ، وآية ذلك أن كنت قد ظل اسمها يتrepid دوما فى كافة الوثائق التى صدرت من الملك أوفا على امتداد السنوات الممتدة من عام ٧٨٥ م حتى وفاته عام ٧٩٦ م (١٤) .

وإذا عرجنا على سسكس *Sussex* المجاورة لكتن ، لمناقشة موقف الملك أوفا منها ، ومدى ما بذله من جهود لادخالها فى نطاق اتحاد ممالك الانجلوساكسون الكونفيديرالى بزعامته . نجد هذه المملكة كانت حسبما أشارت المصادر فى حالة يرثى لها ، بسبب تصارع كبار رجالها على العرش ، حيث استقل عدد منهم فيما يسمى بالمقاطعة *Shire* مكونين اقطاعات أو مقاطعات أو دوقيات انتهى أصحابها لقب « ملك » . ولقد ظل هؤلاء الملوك فى صراع دائم فيما بين بعضهم البعض ، طمعا فى الزعامة على كافة المقاطعات الأخرى . فاستغل الملك أوفا الفرصة ، وانقض على تلك المقاطعات وسيطر على سسكس كلية . ومن ثم أخضعها لسلطانه المباشر تاركا الحال على ماهى عليه من الانقسام ، ضمانا لعدم الانفصال عن مرسيها نواة الوحدة الانجليزية الام . وأصدر أوامرہ بمنع كل حاكم من هؤلاء الملوك لقب الدوق *Dux* . هذا ، والثابت أن اخضاع أوفا لمملكة سسكس وجعلها تحت سلطانه المباشر ، قد تم فى نهاية عام ٧٧١ م أو بداية عام ٧٧٢ م . فلقد أشارت أحدى وثائق

(١٤) عن انتصار أوفا على كنت عام ٧٨٥ م ونتائجہ انظر :
Cart. Sax., no. 242 cf. also: Stenton, p. 207 & The notes.

الساكسون الجنوبيين South Saxons غير المؤرخة الى تصديق الملك أوفا على صحة تنفيذ قراراتين صادرين من اثنين من هؤلاء الملوك أو الحكام في سسكس ، بمنح عطياتين إلى اثنين من كبار رجالهما . ومن ثم فان هاتين الوثيقتين قد صدرتا قبل سيطرة أوفا الكاملة على سسكس ، أي في نهاية عام ٧٧١ أو بداية عام ٧٧٢ كما ذكرنا عليه . يؤكّد ذلك الرأي وثيقة أخرى صدرت عام ٧٧٢ ، تقييد اصدار أوفا قراراً بمنع لقب الدوق Duke إلى جميع الحكام الآنف الذكر (١٥) ، مما يؤكّد سيطرة أوفا المباشرة على سسكس آنذاك مضيفاً بذلك لبنة جديدة في صرح وحدة الامة الانجليزية الذي ظل طوال حياته يسعى جاهداً لاقامتها ، وبعد سسكس اتجه أوفا بناظره إلى مملكته وسسكس Wessex المجاورة لمملكتى كنت وسسكس من ناحية الغرب ، تمهداً للسيطرة عليها وضمها داخل نطاق اتحاده الكونفيدرالي .

الثابت أن وسسكس Wessex كانت قوية الشوكة ولها بأسها قبل عصر أوفاً بعده عقود، ولا توجد وثائق تفيد خضوعها لسلطان أوفا

(١٥) منح أوفا لقب الحوق لاربعة من قادة الساكسون الجنوبيين في سسكس ، وتقييد الوثائق أن أحدهم قد منح نفسه فيما بعد لقب ملك Rex رغم خضوعه لسلطان أوفا المباشر .
انظر :

Cart. Sax., nos. 197, 206, 208; E. H. D. vol. I, Doc. no.: 96 (Th Comment). p. 504 cf. also: Stenton, op. cit., p. 207 & The notes.

المباشر قبل عام ٧٨٦ م . فلقد أشارت المصادر الى أنه عقب مصرع ايزلبالد ملك مرسيا عام ٧٥٧ م كما أسلفنا ، قام كينولف Cynwulf صاحب وسكس من فوره بالهجوم على المرسيين ، واستعاده معظم أملاك السكسون الغربيين West Saxons منتهزا فرصة الحرب الاهلية والفوضى التي عمت مرسيا عقب مصرع ايزلبالد من جهة ، وانشغال أوفا باعادة تنظيم المملكة من الداخل من جهة أخرى . وكان ايزلبالد قد هيمن على وسكس وأدخلها في نطاق الاتحاد الكونيفرالي الذي أنشأه بزعامته كما ذكرنا آنفا . ومن ثم جابت شهرة كينولف الاقاق ، وتمكنه الغزور الى حد أنه تجراً وهاجم أملاك مرسيا ، واستولى على شريط ضيق من الاراضي التابعة لها شمال نهر التيمس Thames . وما أن علم الملك أوفا بالأمر ، حتى قام من فوره باعداد جيشه ، وخرج لاستعادة ما استولى عليه كينولف من أراض ، واضعا في حسبانه السيطره التامة على وسكس وضمها مباشرة الى أملاكه . وفي بنسينجتون Bensington القريبة من قرية بنسون Benson التقى الجمuan ، ودارت رحى معركة شرسة انتهت بهزيمة كينولف عام ٧٧٩ م ، واستعاد أوفا كافة أملاكه المقتسبة من قبل (١٦) .

هذا ، ولما كان كينولف مشهودا له بالاعتزاز بالنفس والعناد الشديد ، لذا تقبل الهزيمة على مضض ، وانسحب بفول جيشه

The Laud Chronicle, p. 51; The Parker Chronicle, p. 50; (١٦)
Roger of Wendover, vol. I, p. 154; Roger de Hoveden, I, p. 26;
Matthew of Wentmisster, I, p. 369; cf. also: Stenton, op. cit., p. 209.

عائداً إلى وسكس ، واضعاً نصب عينيه حتمية الثأر لهزيمته السابقة . ولكن مشيئه الله كانت أقوى ، إذ حدث في عام ٧٨٦ أن ثار المدعو كينهيرد Cyneheard شقيق سيجبرت Sigbert أحد الملوك الذين حكموا وسكس منذ ثلاثين عاماً مضت ، وكان يطمع في التخلص من كينولف والسيطرة على العرش . خرج كينولف للقاء عدوه وحسم الصراع معه في معركة فاصلة ، ليتفرغ بعدها للثأر من أوفا . ولكن شاعت ارادة السماء أن تنتهي المعركة بمصرع الملكين المتنافسين على عرش المملكة في عام ٧٨٦^(١٧) ، فانفتح الباب بعد المعركة على مصراعيه أمام الملك أوفا الذي انطلق بجيشه إلى وسكس وسيطر عليها وضمها إلى أملاكه ، مضيفاً بذلك لبنة جديدة إلى صرح الأمة الأنجلizية الواحدة ، أسمى آماله التي كرس حياته وكل امكاناته من أجلها .

وتجدر بالذكر هنا أن الملك أوفا بعد انتصاره السابق ، وضم وسكس إلى أملاكه ، وبما عرف عنه من دبلوماسية ماهرة ، ووأدأ لاي أفكار انفصالية قد تراود ملوك الساسكون الغربيين Eadburh للخروج عن طاعة مرسيا ، قام أوفا بتزويج ابنته ايدبره إلى كبيرهم المدعو بيورهتيك Beorhetric (٧٨٦ - ٧٨٠ م) ، وجعله حاكماً على وسكس من لدنه ، بعد أن أمن له العرش وخلصه

The Laud Chronicle, p. 53; The Parker Chronicle, p. 52; (١٧)
Roger of Wendover, vol. I, p. 155f.; Roger de Hoveden, 1, p. 27;
The Anglo - Saxon Chronicle, cf. E. H. D., vol. I, p. 180.

من منافسة ايجبرت Egbert بنفيه خارج انجلترا الى القارة الاوربية ، حيث كفل له شارللان العظيم الحماية والامان . وهكذا وعن طريق روابط المصاهرة ضمن أوفا السيطرة التامة على وسكس وكافة أملاك الساكسون الغربيين في حياته وبعد مماته أيضا (١٨) .

هذا ، ومن أجل اتمام بناء وحدة الامة ، اتجه أوفا بناظره شرقا حيث جماعات الساكسون الشرقيين في مملكة ايست انجليا (أنجليا الشرقية) East Anglia ، والتي كان يعامل حكامها معاملة الفضال الخاضعين لسلطان مرسيا (١٩) .

فالثابت أن ايست انجليا قد زالت أسرتها الحاكمة بموت ايلفولد Aelfwold عام ٧٤٩ م (٢٠) ، فساعت أحوالها وتصارع زعماؤها طمعا في كرسي العرش الذي تربع عليه عدد من الملوك المجهولى النسب ، فانتهزت مرسيا الفرصة ، وسيطرت عليها وظلت ايست انجليا منذ ذلك الحين فصاعدا خاضعة لمرسيا حتى نهاية عهد ايزيلبالد عام ٧٥٧ م (٢١) .

(١٨) ظلت كافة أقاليم الساكسون الغربيين خاضعة لسلطان مرسيا بسبب صلة النسب هذه حتى عام ٨٠٢ م . في هذا الصدد ، وللمزيد انظر :

The Anglo - Saxon Chronicle, cf. E.H.D., p. 180; The Laud Chronicle, p. 54; The Parker Chronicle, p. 55; Roger of Wendover, 1, p. 165; Roger de Hoveden, 1, p. 27 ff.; cf. also: Stenton, op. cit., pp. 209 - 210 & The notes.

Cart. Sax., No. 208; Also: Stenton pp. 204 & n. 5, 205 & (١٩)
n. 1, 210.

(٢٠) آخر ملوك ايست انجليا ، كان رجلا مثقفا وعلى صلة طيبة بالقديس بونيفاس Boniface وقد أمر بتكميله تاريخ أولى مراحل حياة القديس جواثلак Guthlac . انظر : Stenton, op. cit., p. 210 & nos. 2 - 4.

مهما يكن من أمر ، فما ان تولى أوفا عرش مرسيا عام ٧٥٧ م حتى قوى من قبضته على ايست انجليا ، خشية انفصالها عن الاتحاد الانجليزي كما حدث بالنسبة لمملكتى وسكس و كانت من قبل واضطر أوفا للتضحية بالعديد من الارواح من أجل اعادتها الى حظيرة الاتحاد كما أسلفنا . ويبدو أن الملك ايثلبرهت Aethelberht ملك ايست انجليا في تلك الاونة (٧٥٠ - ٧٩٦) ، قد غضب بشدة لتجريد أوفا اياه من أغلب اختصاصات الملك ، فصبر على مضض ، عليه يجد الفرصة المواتية لتحرير بلاده من سيطرة أوفا عليها . حدث ذلك في نفس الوقت الذي كان فيه البابا أدريان الأول Adrien I (٧٧٢ - ٧٩٥) ، والكنيسة الرومانية يبذلان كلية جهودهما للتخلص من الملك أوفا ، لمواقفه المعادية للكنيسة الرومانية ، حيث اعتبراه وأعماله ضد الكنيسة والعقيدة الكاثوليكية . لذا ، قام أدريان باشعال نيران الكراهية لدى ايثلبرهت ضد الملك أوفا وحرضه مكرا منه على مقاتلته لنوال احدى الحسينين : النصر أو الشهادة في ظاهر الامر ، بينما هو في حقيقة أمره كان يترقب شوقا للتخلص من أوفا عدو الكنيسة الرومانية اللدود (٢١) . يؤيد ذلك الرأي ما أشارت إليه المصادر عن جهود ايثلبرهت المستميتة من أجل اعداد قواته ، وقيامه بمحاكمة مرسيا أملأا في تحقيق النصر المؤزر أو الحصول على الشهادة والخلد في الآخرة مع « القديسين »

(٢١) سنتناول أسباب تلك الكراهية بالتفصيل في حينه بعون الله .

والشهداء» ! فكان أن هب أوفا لمقاتلته ، وفي موقعة حاسمة التقى العدوان وانتهت بهزيمة ايثبرهت وأسره يوم الثلاثاء الموافق ٢٠ مايو ١٩٧٤ م ومهما يكن، فالملاحظ أن الملك أوفاً على عكس ماجبلت عليه نفسيته من تقوى وورع وحسن خلق نجده هنا يتتحول إلى وحش آدمي ، حيث أحضر ايثبرهت ثم «ذبحه وفصل رأسه عن جسده بلا رحمة» (٢٢) ، مما يجعل المرء يتعجب ويتساءل عما أصاب سلوك أوفا الإنساني المعهود عنه دوماً في معاملاته مع أعدائه وهم له ألد الخصوم ، وتحوله إلى سلوك عدواني وحشى لم نألفه فيه من قبل ؟ *

بادىء ذى بدء ينبغي الاشارة إلى أن كافة الوثائق والمصادر المعاصرة والمتاخرة زمنيا لم تشر من قريب أو بعيد إلى الاسباب الحقيقية التي حدثت بالملك أوفاً إلى سلوك هذا السبيل العدواني . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، يعزى البعض سبب مصرع ايثبرهت لاسباب تتعلق بحق أسرته في الحكم ، ورغبتة في الاستقلال عن سيادة مرسيا (٢٣) ، الا أن هذا التبرير غير مقبول ولا يعتمد به . يؤكّد ذلك ما أشرنا إليه آنفاً من أن أوفا لم يكن من خلقه اتباع هذا السبيل لما عرف عنه من حسن خلق وطيبة قلب وتقوى ، أضف إلى ذلك ما ذكرته المصادر عن سعيه الدائم بلا كلل أو ملل ، لكسب

cf. The Laud Chronicle, p. 55; The Parker Chronicle, (٢٢)
p. 54; Roger of Wendover, 1, p. 158 f.; Roger de
Hoveden, 1, p. 29 & n. 21; cf. also: Stenton, op. cit., p.
210 & The notes.

Stenton, op. cit., p. 210 & the notes; D. S., p. 118. (٢٣)

صداقة الملوك المجاورين وتحاشى عداوتهم ، من أجل تدعيم روابط الوحدة معهم داخل اتحاد واحد يضم الامة الانجليزية تحت زعامته (٢٤) . هذا فضلا عن استخدامه أسلوبها دبلوماسيا جديدا غير مألف لتقوية الروابط مع بعض هؤلاء الملوك ، بتزويجهم وأولادهم ذكرانا وأناثا من أفراد أسرته ضمانا لعدم انفصالهم عن اتحاده الكونفيدرالي ، مثلما حدث وزوج احدى بناته من بيورهتريك ملك وسكس كما ذكرنا من قبل ، فضلا عن تزووجه اثريد ملك نورثمبريا من ابنة أخرى له كما سذكر في حينه من هذا المنطلق ينتهي الاخذ بالرأي السابق ، اذ لو كان الامر يتعلق حقا بذلك التبرير ، لاكتفى أوفا بعد النصر الساحق الذي حققه ضد ايثلبرهت بنفيه من انجلترا في حالة فشله عن كسب وده ، مثلما فعل من قبل مع ايجيرت الطامع في عرش وسكس رغم كراهيته الشديدة له عام ٦٧٨٦ (٢٥) .

وبالمثل ، يلاحظ أن كافة المصادر المعاصرة والمتاخرة زمنيا قد صممت تماما عن الاشارة من قريب أو بعيد لأسباب مصراع ايثلبرهت ، مما أوقع الباحثين في حيرة ، ومن ثم فان كل ما قيل في تبرير عملية الذبح مجرد حدس قابل للنفخ والترجيح بمبررات أكثر احتمالا للصحة. لذا فان من الاصوب قبول التبرير السابق ذكره ، وأعني بذلك تخفيط البابا أدريان وايثلبرهت معا لمحاجمة مرسيا

Matthew of Westminster, 1, p. 368; Roger of Wendover, (٢٤) 1, p. 153.

(٢٥) انظر ما سبق ص ٧٦ وحاشية رقم ١٨ .

للتخلص من تبعية الاخير لها فى الظاهر ، بينما يسعى الاول فى قراره نفسه للخلاص من أوفاً بسبب عداوته الشديدة له « لما قام به من أعمال أدت الى تقويض دعائم اليمان » فضلا عن « الشائعات التي ترددت » فى أوساط الكنيسة الرومانية عن « سلوك أوفا المعادى للعقيدة » كما أسلفنا ، ذلك السلوك الذى « هدد بالخطر سلطان الكنيسة الرومانية مباشرة » وأنذر باخراجه من انجلترا » (٣١) .

هذا ، وبالوقوف هنا هنئنة لمناقشته تلك العبارة التى أوردها المؤرخ المشهور سير فراند ستنتون نجد بما لا يدع مجالا لبادرة شك تأييدا له أهميته ، يؤكド ما وصلنا اليه بصدق ترجيح اعتناق الملك أوفا للإسلام ، ولعل ذلك الاعتقاد كان سرا ، فكان أن « ترددت الشائعات » ، حتى وصلت الى مسامع البابا ادريان ، فجن جنونه خوفا على الكنيسة الرومانية وعقيدتها الكاثوليكية ، التي لابد أن تكون قد تأثرت بسبب اعتناق أوفا للإسلام ، فسارع البابا باعداد بعثة عاجلة أرسلها الى انجلترا عام ٧٨٦ م + وتنضح

(٢٦) وردت تلك العبارة الخطيرة على لسان المؤرخ ستنتون اعتمادا على مصادر لم تتح لنا للأسف ، وهي تؤكد ما وصلنا اليه من احتمال اعتناق أوفا للإسلام سرا ، ثم بدأ اعلانه صراحة باصدار ديناره المشهور ، جسا للنبض ، وكشفا لردود الفعل المرقبة . ولا شك أن تلك الشائعات التي ترددت ، وهدت المسيحية بالخطر المباشر تؤكد صحة ما وصلنا اليه وتضييف اليه جديدا . انظر : Stenton, op. cit., p. 215.

أهمية تلك البعثة في أن البابا قد وضع على رأسها المدعو جورج أسقف أوستيا *bishop of Ostia* George وهو رجل مشهور بتجارب العديدة في مجال التبشير بال المسيحية ، ومعه رجل كفء آخر هو ثيوفلاكت أسقف تودى *bishop of Todi* Theophylact فضلاً عن مجموعة أخرى من كبار رجال الدين المسيحي . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، يلاحظ أن هذه البعثة هي الأولى من نوعها التي لم ترسل البابوية مثيلاً لها إلى إنجلترا من قبل ، وذلك منذ إرسالها بعثة القديس أوجسطين لتمسيح إنجلترا عام ٥٩٧ م . مما يؤكد مدى خطورة الأوضاع المتردية التي وصلت إليها المسيحية في إنجلترا ربما بسبب ارتداد الكثيرين عنها ، فكان لابد من إرسال هذه البعثة العاجلة درءاً لتلك المخاطر ، «ومن أجل إعادة تجديد وتنبيه الآيمان في نفوس الانجليز » كما ذكرت المصادر . وتؤكد الشواهد أن الملك أوفقاً مكراً منه قد هادن البابوية وأنكر الشائعات ، ترقباً لفرصة المواتية لاعلان إسلامه جهاراً نهاراً ، بعد أن يكون قد مكّن لدينه الذي ارتضى في بلاده . فكان لأول وآخر مرة من نوعها في تاريخ أوروبا ، أن يأمر ملك مثله بضرب هذا الدينار الفريد ذي عبارات التوحيد الإسلامية في تحد سافر للبابوية . وهنا ، ولقياس البابوية عن اثناء أوفنا عن عزمه ، أو التفاهم معه بالحسنى ، خطط البابا لعزله بالاتفاق مع كل من أيثلبرهت ملك إيسن إنجلترا ، فضلاً عن البريطانيين (البريتونيين *Britons*) في ويلز ، للقيام بالهجوم على أوفقاً ، وحصره بين فكي كماشة تطبق عليه من الشرق والغرب .

لكن شاءت القدر أن تفشل تلك الجهد بانتصار أوفا على ايثلبرهت ومصرعه كما أشرنا آنفا ، أما موقف ويلز من أوفا وردود فعل الآخرين منها ، فهذا جانب آخر من جوانب الموضوع الهامة ، سوف نتناوله بالدراسة التحليلية في حينه فيما بعد .

هذا والغريب أن المصادر قد أجمعـت على أنبعثة عام ٧٨٦ قد أرسلتها البابوية « من أجل إعادة تجديد وتبـيت الإيمان والسلام اللذين دعا اليهما القديس أوغسطين St. Augustine عام ٥٩٧ م من قبل » (٢٧) . وبمناقشة تلك العبارة يلاحظ أهمية فحواها ، إذ أنها تؤكد ما وصلنا إليه بشأن ترجيح اعتناق أوفا الإسلام ، بل ومحاولته نشره في إنجلترا ، مما أدى إلى ارتداد الكثريـن عن المسيحية ، وأحداث هزة عنيفة أصابـت العقيدة الكاثوليكية بالضرر ودمرت جهود القديس أوغسطين السابقة لكتلـة إنجلترا ، فكانت المحصلة تخطيط البابوية للتخلص من أوفا ، وفي نفس الوقت أرسل البابا تلك البعـثة لإعادة تجديد الدعـوة للمسيحية وتبـيتها في نفوس الانجليـز كما أكدـت المصادر ، وذكرناه من قبل .

وهـنـاك دليل آخر يـؤـكـد صـحة ما وصلـناـ اليـهـ من اتفـاقـ الـبابـاـ السـابـقـ معـ ايـثـلـبـرـهـتـ للـتـخلـصـ منـ اوـفـاـ فـكـانـ انـ ذـبـحـ بـهـدـهـ المـطـرـيـقـةـ

(٢٧) عن تلك البعـثـةـ ، سـوـءـ أـحـوالـ المـسـيـحـيـةـ فـيـ إنـجـلـتـرـاـ آـنـذـاكـ انـظـرـ The Laud Chronicle, pp. 52, 54; The Parker Chronicle, p. 55; Roger of Wendover, 1, p. 156; Roger de Hoveden, 1, p. 29 & n. 21. cf. Also: Stenton, op. cit., p. 215.

البشعة جزاء وفaca لاتفاقه هذا . فاقد أشارت المصادر والمراجع لغضب البابوية الشديد لمصرع ايثلبرهت ، واتهامها أوفا «بالوحشية والمزاج الدموي »، فضلا عن اثارة النفوس ضده ، وحشدها للتخلص منه بعد اعداد تخطيط آخر أكثر حبكة من سابقه . وتقديرًا لدور ايثلبرهت ، وكسبها للمشاعر ، أصدر البابا قرارا باعتبار ايثلبرهت « قديسا شهيدا » وأمرت الكنيسة بحفظ جسده في كاتدرائية هيرفورد *Hereford* التي أقيمت تخليدا لذكراه ^(٢٨) .

وتجدر بالذكر في هذا الصدد أيضًا ، أن المصادر الكنسية المسيحية المتخصصة في تاريخ القديسين والشهداء ، لم تشر إلى حبيبات القدسية التي أسبغتها على ايثلبرهت من قريب أو بعيد ، يعكس عادتها المتّعة في الاسترسال وأظهار أمجاد هؤلاء القديسين ودورهم في التّذبّب عن المسيحية ، مثلما هو الحال بالنسبة « للملك القدس لويس التاسع » على سبيل المثال ^(٢٩) . أما هنا فليس هناك مبرر منطقي يتقبله أي باحث منصف لاسباب القدسية على

Roger de Hoveden, I, p. 29 & n. 21; cf. also: James, M. (٢٨)
R., Two Lives of St. Ethelbert, King & Martyr, cf. E.H.R., vol.
32, 1917, p. 392; Stenton, op. cit., p. 210 & the notes; D. S., p.
118; C. E., p. 215.

(٢٩) في هذا الصدد ، وللمزيد عن اسباب القدسية على لويس التاسع انظر : جوانفيل (سيرجان دي) : القديس لويس - حياته وحملاته على مصر والشام ، ترجمة د. حسن جبشي ، القاهرة ١٩٦٨م ، D. S., p. 219 f. ص ٣٢١ - ٣١٩ ، وأيضا انظر :

ايثيرهت ، الا القول بما وصلنا اليه بشأن اتفاقه مع البابوية للتخلص من الملك أوفا لاسباب السابق ذكرها . والمعروف والتثبت تاريخيا أن شارلماן كان يعتبر نفسه « المدافع عن العقيدة المسيحية في أوروبا الغربية » لما قام به من أعمال لا تنكر من أجل نشر المسيحية وحمايتها بحد السيف ، ورغم ذلك لم تضعه تلك المصادر الكنسية في مرتبة القديسين ، بينما ايثيرهت المعمور قياسا بشارلمان اعتبر قديسا شهيدا ! وتكرس كنيسة لتخليد ذكراه دون الافصاح عن أسباب تلك القدسية كما أسلفنا . ولاشك أن السبب يعزى في المقام الأول إلى رغبة البابوية في تشجيع غيره من الملوك على الانصياع لأوامرها للحصول على مثل هذه المكانة الرفيعة في الآخرة ، ومن ثم ضمان تكثيل كافة القوى ضد أوفا للتخلص منه وأدا لافكاره المعادية للمسيحية .

هذا ، والملاحظ أن المؤرخ سنتتون قد علق على مشرع ايثيرهت فقال : « ٠٠٠٠٠ ان من المرجح القول بأن موت ايثيرهت كان نتيجة محاولته الاستقلال بملكه » ، ثم عاد وشك في رأيه هذا فقال . « ٠٠٠ الا أن ملامحات موته لا زالت مجهولة » (٣٠) ، مشيرا بذلك إلى عدم وجود نص أو رواية صريحة توضح السبب الحقيقي لمصرعه ومن ثم يتتأكد لنا صحة ماوصلنا اليه

بصدق اتفاق ايثلبرهت المسبق مع البابا للتخلص من أوفا لاعتقاده
الاسلام °

استعرضنا فيما سبق جهود الملك أوفا العسكرية والدبلوماسية لتوحيد الانجلوساكسون ، بضم ممالكهم تحت زعامته ، من خلال تناولنا علاقاته مع كل من كنت ووسيكس وسكسكس وايست أنجليا بالدراسة والتحليل ° فكان على أوفا أن يواصل جهوده لاتمام بناء صرح تلك الوحدة ، وذلك باخضاع بقية المالك الانجلوساكسونية التي لازالت خارج نطاق سلطان مرسيا، وهي نورثمبريا Northumbria واسكس Essex ، وليندسي Lindsey ° والثابت حسبما أشارت الوثائق والمصادر أن مملكتي ليندسي واسكس الصغيرتين كانتا وغيرهما من المالك الأخرى المماثلة ، خاضعتين لسيادـ مرسيا في عصر الملك ايزلبالد حتى وفاته في عام ٧٥٧م ، وبالطبع ظلت تلك المالك على حالها من التبعية طوال عهد الملك أوفا ، وكانت مرسيا تعامل ملوك تلك المالك كملوك أقل مرتبة من غيرهم من الملوك الكبار ، وعرفتهم المصادر باسم Under - Kings ° فلقد أكدت الوثائق أن أوفا كان يصدق على قراراتهم دوما ، فضلا عن منحه البعض أراض في مدينة هارو Harrow دون الرجوع إلى ملك اسكس أو مشاورته في الامر ° هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أشارت وثيقة ثانية إلى معاملة أوفا الملك ليندسي على أساس أنه مرتبة أقل من الملك King - Under كما أسلفنا ، مما يؤكـ خضوع حكام

تلك الملك التام لسلطان مرسيا ، من ثم تتأكد سيطرة أوفا على كافة الملك الانجليزية الصغيرة وتبعية ملوكها له (٣١) .

مهما يكن ، فلا مراء في أن ما أنجزه الملك أوفا من نجاح في مجال توحيد الأمة الانجليزية بزعامته ، يعزى في المقام الأول إلى ما حباه الله به من حنكة وجرأة في ميادين القتال ، فذاعت شهرته كرجل حرب وسياسة فريد الطراز ، ومن ثم استحق عن جدارة لقب « ملك إنجلترا » ، و « ملك كل بلاد الانجليز » (٣٢) كما ذكرنا آنفا ، بعد أن دانت له كافة الملكات الانجليزية (الأنجلوساكسونية) بالولاة والطاعة . وجدير بالذكر أن لقب « ملك كل بلاد الانجليز » (٣٣) قد استخدمه أوفا لأول مرة عام ٧٧٤ م ، وذلك بالرغم من عدم وجود دلائل تؤكد تخطي سلطانه نهر الهمبر Humber إلى مملكة نورثمبريا آنذاك . فالثابت أن الحرب الأهلية قد نشببت في نورثمبريا في ذلك العام واستمرت على مر الأعوام التالية طمعا في العرش ، وظلت الحروب مشتعلة حتى عاد أثلريد Athlred الملك المخلوع من

(٣١) ذكر متى أوف ويستيمينستر أسماء ثلاثة وعشرين مملكة صغيرة ، أطلق عليها اسم المقاطعات Shires مثال إسكس - ليندسي - جلو سستر Glosister ودربي . وقال بخصوصها التام لسلطان مرسيا في عهد الملك أوفا . انظر :

Matthew of Westminster, 1, pp. 379 - 380. cf. also: Stenton, op. cit., pp. 204, 205, 210, 211 & the notes.

Cart. Sax., Nos., 213, 214, 234, 257; cf. also:

Stenton, op. cit., p. 211 & the notes.

Cart. Sax., No. 214.

(٣٢)

(٣٣)

منفاه ، بعد أن انتصر حزبه على معارضيه عام ٧٧٩ م . وهذا وبما عرف عن الملك أوفا من بعد نظر ، سارع بتكتيف مساعداته لاثرید ، وعرض عليه كفالة الحماية والآمان له ، ولعرشه نظير الانضمام إلى اتحاد الممالك الانجليزية الكونفيديرالي بزعامته ، فوافق أثريد على الفور ضمانته لتأمين عرشه . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، وضمناً لاستمرار تواجد نورثمبريا داخل نطاق الاتحاد أنكح أوفا أحدى بناته المسماة أيلفيفيلد *Aelfaeld* إلى أثريد ^(٣٤)

هذا ، وبانضمام نورثمبريا إلى الاتحاد الكونفيديرالي ، اكتمل بناء صرح وحدة الانجليز (الانجلوساكسون) لأول مرة في التاريخ تحت سيادة مرسيا . ذلك الصرح الذي ظل قوياً على امتداد عصر الملك أوفا (٧٥٧ - ٧٩٦ م) ، وبموته يوم الجمعة ٢٩ يوليو ٧٩٦ بدأ العد التنازلي لانهيار سيادة مرسيا على الانجلوساكسون ، إلى أن زالت تماماً في القرن التاسع الميلادي . ^(٣٥)

The Parker Chronicle, p. 51; Roger of Wendover, 1, (٣٤)
pp. 152, 158; Roger de Hoveden, 1, pp. 24 - 30; Matthew of West-
minster, 1, 369 f.; Simoens of Durham, cf. E. H. D., vol. I, p. 272;
cf. also: Stenton, op. cit., pp. 90, 93, 94, 212.

(٣٥) عقب موت أوفا خلفه ولده إيجفريث *Ecgfrith* الذي مات بعد أقل من خمسة أشهر ، ثم خلفه كينولف *Cenwulf* قريبه من بعيد (٧٩٦ - ٨٢١ م) ثم كيولوف *Ceolwulf* الذي عزل عام ٨٢٣ م ، ليفسح الطريق أمام بيورنولف *Beornwulf* المجهول =

وتجدر بالذكر في هذا الصدد ، أن اثريد ملك نورثمبريا قد ظلت روابطه بالمحاورة مع الملك أوفا قوية ، حتى تم اغتياله بواسطة مؤامرة دنيئة دبرها بعض من النبلاء المقربين إليه أوائل عام ٧٩٦م (٣٣) ، خرجت بعدها مملكته من الاتحاد الكونفيدرالي من جهة ، فضلاً عن سقوطها في خضم بحر لجي من الصراعات والفووضى التي استغلتها البابوية وشارلماן أيّما استغلال ، من أجل بسط سيطرتهما عليها وعلى كافة الأمة الانجليزية فيما بعد من جهة أخرى .

الاصل والنسب . وفي عام ٨٢٥ هاجمه ايجبيرت ملك وسكس (ت ٨٣٩م) ، وهزم في موقعة إيلليندون Ellendun وهيمنت وسكس على الانجلوساكسون . هذا ولقد زالت سيادة مرسيا تماماً بعد هجوم الدانيين عليها أواخر القرن التاسع الميلادي وحيث انقسمت إلى قسمين : انجليزى ودانى ، وظل حالها هكذا حتى تولى الفريد العظيم حكم وسكس (٨٧١ - ٨٩٩م) ، ثم بسط سلطانه على مرسيا وكافة المالك الانجليزية بعد انتصاراته الساحقة على الدانيين وطردهم من إنجلترا . في هذا الصدد ، وللمزيد عن تفصيات الأحداث بعد وفاة أوفا وإنهايار مرسيا وزوال سيادتها انظر :

The Parker Chronicle, pp. 50, 52 56, 60, 62, 70, 72; 74; 76; 78, 80, 82, 84, 86, 88, 90, 92; The Laud Chronicle, pp. 57, 59; 61; 71, 73, 75, 77, 79, 81, 83, 85, 87, 89, 91; cf. also: Stenton; op. cit., pp. 225 - 238; 249 - 76; Sh. Camb. Med. Hist., 1, pp. 379 - 87; Whitelock, cf. E.H.D., p. 23 ff. & the notes.

The Laud Chronicle, p. 57; The parker Chronicle, p. 56 (٣٦)
Stenton, op. cit., pp. 93 - 94. وللمزيد انظر :

وهنا لابد من وقفة لمناقشة أسباب مصرع أيثرييد لا لها من أهمية في كشف بعض جوانب البحث الغامضة . فمما لاشك فيه ، وحسبما أكدت الشواهد التاريخية أن مصرع أيثرييد كان سببه صلة النسب التي تربطه بالملك أوفا بصفة عامة ، ولخوف البابوية من احتمالات تأثره بسبب تلك الصلة بأفكار الملك أوفا المعادية للمسيحية كما أسلفنا بصفة خاصة . اذا خطط البابا للتخلص من أيثرييد ، ويبدو أن شارلمان كان له ضلع كبير في هذا المخطط الذي انتهى بمصرع أيثرييد يوم ١٨ أبريل ٧٩٦ م كما ذكرنا عليه . وعلى الفور قامت حروب أهلية بين مؤيدي الملك الصريح وأعوان المتأمرين انتهت بتتويج كبيرهم المدعو إيردولف Eardwulf ملكا على نورثمبريا بتعضيده من البابوية (٣٢) فثار الاهالي ضد الملك المفروض عليهم قسرا ، فأضطر للفرار على أمل العودة من جديد بمساعدة البابا وشارلمان . يؤيد ذلك الرأي ما أشارت إليه المصادر والمراجع من اهتمام كل من شارلمان والبابا بأحوال نورثمبريا وعرشها ، ورغم أن هناك رواية وحيدة تتفي اشتراك المدعو إيردولف في قتل أيثرييد ، الا أن تطور الأحداث ، وحسبما أكدت المصادر ، لا تؤكد اشتراكه في المؤامرة فحسب ، بل تؤكد تآمره حتى اخمن . قد미ه مع البابوية وبتعضيده من شارلمان ضد كينوولف Cenwulf

The Laud, Chronicle, p. 57; The Paker chronicle, p. 56; cf. also: Stenton, op. cit., p. 94. (IV)

ملك مرسيا وقريب الملك أوفا فلقد ذهب ايردولف عقب فراره الى شارلمان طالبا مساعدته واعادته الى العرش ، فأرسل الاخير رسالة من لدنه الى البابا ليو الثالث Leo III (٧٩٥ - ٨١٦ م) لتعضيده ، وللمساعدة في اعادة ايردولف الى عرش نورثمبريا ، وكان أن تم ذلك بالفعل ^(٣٨) .

لقد كان الاتفاق كما يبدو – ينص على اعادة ايردولف مقابل التخلص من آخر سلالة أسرة وأقارب الملك أوفا ، وأعني الملك كينولف Cenwulf (٧٩٦ - ٨٢١ م) ، بسبب أعماله المعادية للكنيسة واليساوية في إنجلترا . فلقد ألمحت المصادر إلى فزع البابوية من كينولف بسبب تصرفاته المعادية للعقيدة الكاثوليكية ، بدليل ما وأشارت إليه من حدوث صراع بين كينولف وممثل البابوية في إنجلترا ، وللاسف سبب الصراع غير معروف حسبما يؤكّد المؤرخ ستنتون ، الذي عاد فأشار إلى احتمال أن يكون السبب «انتزاع كينولف ملكية بعض الأراضي التابعة لكاتدرائية كانتربيوري» بينما اتهم كينولف رئيس الأساقفة ومنذوب البابوية في كتب «بتصرفات ما» بدرت منه « تستدعى عزله » ، ويبلغ الصراع حداً لدرجة أن «البابا هدد باصدار قرار الحرمان ضد إنجلترا، ولكنه عاد وعدل عنه » ^(٣٩) . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أوعز البابا – وعده شارلمان في ذلك – للملك ايردولف بالهجوم على كينولف

Stenton, op. cit., Loc. cit., & the notes.

(٣٨)

Stenton, op. cit., p. 229 & nos. 4 - 5.

(٣٩)

للقضاء عليه وقطع دابر اسرة أوفا ، ففي عام ٨٠١ م غزا أيردولف مرسيا ولم تشر الروايات إلى نتائج أو أسباب الغزو حسب العادة المتبعة لطمس حقائق تاريخ الملك أوفا وخلفائه من بعده ، ولقد علق مصدرنا الوحيد هناها السير فرانك ستنتون على تلك الأحداث ، فقال : « ان الكتاب الانجليز لم يسجلوا شيئاً عن تلك الاتصالات (يقصد اتصالات ايردولف بكل من البابا وشارلماן) ، فليست هناك معلومات عن الاحوال السياسية التي استدعت حدوثها » ، مما يؤكّد صحة ما وصلنا إليه في هذا الشأن . ولعلنا نضيف جديداً يؤكّد ذلك أيضاً ، إذ أورد نفس المؤرخ ستنتون عبارة هامة عن تلك الاتصالات ، أوضح بها بطريقة غير مباشرة السبب منها ، إذ قال : « لكن تلك الاتصالات على الأقل توضح أن الامبراطور شارلمان قد رحب بذلك الفرصة التي أتيحت له للتدخل في شؤون شمال إنجلترا ، حتى يستطيع مواجهة التحدى القادم إليه عبر القنال الانجليزي ، ممثلاً في تلك القوة المخيفة التي أعدّها الملك أوفا »^(٤٠) ، أي أن شارلمان « حامي المسيحية في أوروبا الغربية كما وصف نفسه »^(٤١) ، وبتشجيع من البابوية ، قد وجد فرصة عمره في طلب

(٤٠) اعتمد ستنتون هناها على مصادر خاصة لم تتح لغيره من الباحثين ، مما أعطى لكتاباته أهمية خاصة باعتراف المؤرخين الآخرين المعنيين . انظر

Stenton, op. cit., pp. 94 - 95 and the notes.

Stenton, op. cit., p. 219.

(٤١)

ايردولف المساعدة منه ، وذلك للتدخل في شؤون نورثمبريا ، وحيث يمكنه عن طريقها التحكم في شمال انجلترا « واعادة تجديد الدعوة للمسيحية » من جهة ، فضلاً عن اتاحة الفرصة له للزحف عبرها في شخص ايردولف الى مرسيا ، والقضاء تماماً على آخر سلالة أوفا في انجلترا ، ولعل ذلك يفسر قيام ايردولف بغزو مرسيا عام ٨٠١ دون أن تشير المصادر الى أسباب الغزو من قريب أو بعيد كما أوضحنا من قبل .

وتجدر بالذكر أن الملك أوفا رغم وجود بعض نقاط الضعف في علاقاته السياسية مع غيره من الملوك ، فمما لا شك فيه أنه كانت لديه من « القوة الرهيبة » الكافية لجعل شارلمان أعظم الملوك في ذيئّاك الوقت يعمل له ألف حساب ، وأن يسعى لهادنته رغم كراهيته الشديدة له ، بل ويخاطبه في رسالة جاء فيها : « ان الحفاظ على روابط الصداقة بين أصحاب الجلاله الملوك ، وأصحاب المقامات الرفيعة ، أمر حتمي من أجل كناللة السلم ودوام المحبة فيما بينهم » (٤٢) ، مما يؤكّد عظم مكانة أوفا ، ومعاملة شارلمان له كتد مساوله ولعلنا نجد في رسالتين آخريتين ما يؤكّد عظم تلك المكانة من جانب ، كما أنها تؤكّدان صدق ما وصلنا إليه من ترجيح —

(٤٢) وللمزيد انظر نص الرسالة :
Letter of Charles the Great to OFFA, King of Mercia (796 A. D.);
cf. E.H.D., vol. 1, Doc. No. 197, pp. 848 - 839.

اعتنق أوفا الاسلام فلقد أشارت المصادر الى رسالة أرسلها شارلمان الى كل من ايزلهرد Aethelheard رئيس أساقفة كانتربيوري وكيولولف Ceolwulf أسقف ليندسي Lindsey ، يطالبهما فيها « بالتلطف والتودد الى الملك أوفا » ، واعدا اياهما بالتدخل لدى أوفا « للسامح لهما بالعودة الى بلديهما ، دون الحاق الضرر بهما » (٤٣) . والثابت أن هذين الرجلين كانوا قد أبعدهما أوفا دون أن تذكر المصادر سببا أو أسبابا للابعاد ، والتي يحتمل أنها كانت بسبب موقفهما المعادى للملك أوفا ومعارضتهما اياه لموافقه المعادية للعقيدة المسيحية ، تلك المواقف التي توجت باصداره ديناره الذهبي ذى عبارات التوحيد الاسلامية . ولعلهما أخذوا معهما بعضا من تلك الدنانير وقدمها الى البابا ادرييان الاول مصحوبة بتقرير واف ، يحدد ظروف ضرب تلك الدنانير ، فضلا عن تبيان سياسة أوفا المعادية للكنيسة والعقيدة المسيحية ، كما أخبراه بنوایا أوفا الرامية الى تدمير الكنيسة الرومانية والحط من قدر البابا فى نفوس تابعيه والسعى الجدى الى خلعه . وأية ذلك أن البابا قد سيطر عليه فزع شديد خوفا من مغبة الاخطر التى سوف تصيب المسيحية فى انجلترا من جراء سياسة أوفا تلك واضطر الىأخذ الحذر منه ، وعمل لسياساته ألف حساب (٤٤) هذا

Letter of Charles the Great to Aethelheard archishop (٤٣)
of Canterbury & Ceolwulf bishop of Lindsey (793 - 796), cf.
E.H.D., vol. 1, Doc. No. 196, p. 847.

Stenton, op. cit., p. 215.

(٤٤)

من جانب ، ومن جانب آخر أشارت المصادر إلى رسالة ذات عبارات خطيرة الفحوى ، أرسلها البابا أدريان إلى الإمبراطور شارلمان افاض فيها واستفاض في مدح الإمبراطور حامي المسيحية والمدافع عنها في أوروبا الغربية ، ثم عرج بعد ذلك على موضوع ما سمعه من « شائعات وصلت مسامعه تؤكد نتير شارلمان وعزمه على خلع البابا تحقيقاً لرغبة الملك أوفا ٠٠٠ ، تمهدًا لانتخاب بابا آخر من الأفرنج بدلاً منه ، بناءً على اقتراح بهذا الصدد قدمه أوفا إليه وسعى جاهداً لتحقيقه » (٤٥) + والغريب أن تاريخ تلك الرسالة مجهول (٤٦) على غير العادة المتبعة في مثل هذه الرسائل الهامة فيما بين الملوك والبابوات ! ولربما كتبت في عام ٧٨٥ أو عام ٧٨٦ + ولاشك أن تلك الرسالة فضلاً عن التقرير المشار إليه آنفاً ، والذي كتبه كل من إيزلهرد وكيلولف مندوبي البابا تتضح أهميتهما في أنهما قد كشفا مدى الخطأ الذي تهدّت المسيحية في إنجلترا كلها ، بسبب اعتناق أوفا الإسلام ، فكان أن أسرع البابا بارسال بعثة عام ٧٨٦ ل إعادة تجديد وثبت العقيدة المسيحية في نفوس الانجليز كما ذكرنا بالتفصيل من قبل +

Councils & Ecclesiastical Documents, ed, A. W. Hadden (٤٥)
& W.S. Stubbs, Oxford, 1871, Vol. III, pp. 440 - 442.

(٤٦) من الملاحظ أن كافة وثائق عصر أوفا ، وكما أوضحنا من قبل أما غير موجودة أو نجد النادر الذي لا يفي بالغرض المطلوب منها . فضلاً عن غموض الكثير منها وعدم ذكر تاريخها مما أوقع الباحثين في

ويبدو أن شارلaman قد أرسل رسالة من لدنه مع مبعوث إلى الملك أوفا ، بناء على توسّلات البابا اليه بالتدخل للحد من خطورة الموقف ، وبما عرف عنه من ذكاء ودبلوماسية استقبل أوفا السفارة الفرنجية ، فضلا عن مبعوثي البابوية كما أسلفنا بالترحاب مهادنة منه لهم وضمنها لعدم اثارة القلاقل أمام مجهوداته لتوحيد الأمة الانجليزية ، وحتى يوطد أركان عقيدته الجديدة في نفوس رعاياه ان استقطاع إلى ذلك سبيلاً في نفس الوقت يحتمل أن شارلaman كان يسعى من وراء تدخله إلى كشف مدى حقيقة ما أشيع عن اعتناق أوفا للدين الجديد ، فحاول جس نبضه بأن عرض عليه ترويج ابنه شارل من احدى بناته . فرفض أوفا بشدة ، وطالبه بترويج ابنته بروثa Bertha من ولده ايغفيرث Egfrith فاستشاط شارلaman غضبا ، لدرجة أنه أمر بوقف المفاوضات وسحب سفارته وعودتها على الفور ، فضلا عن اصداره أوامره المشددة بمنع كافة التجار الانجليز من دخول جميع موانى ومدن مملكته للتجارة .^(١)

=

حيرة ، ولعل ذلك يفسر أسباب اعتماد كافة المؤرخين المتهمين بدراسة تاريخ الملك أوفا بالذات ، وعلى رأسهم المؤرخ المشهور ستنتنون - على الحدس والترجيح ، عند الكتابة عن تاريخ الملك أوفا وخاصة ، وبتاريخ الانجلوساكسون بعامه .^(٢)

(٤٧) ا Medina الكوين أستاذ شارلaman ومعلمته المشهور بوثيقة هامة ، عبارة عن رسالة أرسلها إلى رجل دين ايرلندي يسمى كولوك Colcu في عام ٧٩٠ ، توضح عداوة شارلaman لأوفا بسبب خلاف ما أثاره

=

هذا ، ولقد ثبتت سماء علاقات أوفا بشارمان بالغميوم الداكنة ، وكان أن ألقى الأخير بكل نقله إلى جانب البابوية وأعداء أوفا بعامة ، فلقد أشارت المصادر إلى تأمين شارمان لحياة ايجبرت Egbert أحد أعداء أوفا المشهورين الطامعين في عرش مرسيا ، فثار هذا الأخير ضد أوفا الذي هزمه بمساعدة بيورهترิก Beorhetric ملك وسكس عام ٧٨٩م ، الذي كوفيء لمساعدته تلك بتزويع أوفا إياه من ابنته ايجبره كما أشرنا من قبل (٤٨) . وهكذا نضيف جديدا إلى ما سبق وأشارنا إليه عن عظم مكانة أوفا ، وتأثيره القوى على مسار الأحداث في أوروبا ، فضلاً عن تحالف البابوية وشارمان ضده ، وأداً لجهوده المعادية للكنيسة والعقيدة الكاثوليكية قبل أن يستنزل خطرها في إنجلترا كلها .

الشيطان - ربما كان لاختلاف العقيدة - مما أدى إلى توقف حركة ابحار السفن التجارية بين البلدين . انظر :
C.E.D., vol. III, p. 487 f.; Letter of Alcuin to Colcu (790 A.D.); cf. E.H.D., vol. I, Doc. 192, pp. 840 841; «Acts of the Abbots of Fontenelle» (St. Wandrille), cf. E.H.D., vol. I, No. 20, p. 341.

(٤٨) يبدو أن شارمان وجد إلا مناص من مهادنة أوفا خوفاً من القوة الرهيبة التي أعدها ، والتي عمل لها الف حساب ، خاصة وأنه وجد من الصعب عليه عبور القنال الانجليزي ومهاجنته . لذا ، ولرغبة في سيولة التجارة بين الجانبين من جديد ، اضطر لهادنته وتكتيف الكوين بالتدخل للصلح بينهما . وتم هذا ، وعادت التجارة إلى سالف عصرها من النشاط بين الجانبين .

أنظر :

C.E.D. vol. III, p. 487 f., also: Stenton. op. cit., pp. 216 - 270; Wormald, op. cit., p. 101.

— ٩٧ —

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

« الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ، وَإِذَا يَتَلَى
عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كَنَا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ » +

(القصص : ٥٣ — ٥٤)

الفَصْلُ الثَّانِي

— ٩٩ —

أوفا ودوره الحضاري

(٧٥٧ - ٧٩٦ م)

— أوفا باعت النهضة الانجليزية .

— دور أوفا في النهوض بالتعليم والثقافة والجيش ، واصلاح
النظم التشريعية والمالية والاقتصادية .

— الاهتمام بالتجارة الخارجية وتنشيطها بعقد الاتفاقيات
التجارية مع الفرنج والخلافة العباسية .

— التغييرات التي استحدثها أوفا في العملات
الأنجلوساكسونية ودلائلها الهامة .

— دينار أوفا الذهبي ذو عبارات التوحيد الاسلامية والآراء
المختلفة حول أسباب ضريبة .

بعد أن ألمتنا اللثام في الفصل السابق عن الجهد الناجحة التي بذلها الملك أوفا لتوحيد المالك الانجلوساكسونية من جانب ، وبعد كشف النقاب عن مواقف كل من شارلمن والبابوية المعادية له من جانب آخر ، ينبغي أن ننتقل هاهنا لمناقشة دور أوفا الحضاري وأثره في وضع نواة نهضة الأمة الانجليزية ، لما في ذلك من أهمية في كشف غموض عصره ، ومن ثم سد بعض ثغرات البحث .

حقيقة ان أوفا لم يكن رجل حرب وسياسة فحسب ، بل كان رجل دولة ومنظما بارعا فريدا الطراز ، فلا شك في أن أعماله في هذا الصدد لا تقل عظمة عن أعماله السياسية والعسكرية ، فقد اهتم بالنظام المالي والاقتصادي ، فضلا عن النظام التشريعي . وبذل جهودا مكثفة من أجل رفع مستوى الانجليز الثقافي والاجتماعي ، وكفالة الأمن والأمان لهم ، وحماية مكاسبهم السياسية والاقتصادية التي حصلوا عليها في عصره . ناهيك عن اهتمامه بالتشييد والبناء ممثلا في سورة العظيم OFFA'S DYING الذي سوف نتناوله بالتفصيل في الفصل الأخير ، فضلا عن عناته الفائقة بالجيش التي تمثلت في اعداده تلك « القوة الرهيبة » التي حقق بها أعظم انجازاته بتوحيد الأمة الانجليزية تحت قيادته لأول مرة في التاريخ كما أسلفنا هذا ، ولقد حصلنا من وثائق عصره النادرة على روایات تؤكد اهتمام أوفا الشديد بالثقافة والتعليم ، فضلا عن البناء والتعمير (١) . أما

(١) أكد الكوين في رسالة إلى أوفا في احدى السنوات ما بين عام ٧٨٧ وعام ٧٩٦ اهتمام أوفا بالتعليم والثقافة وشكره على جهوده تلك . وقد علقت د . وايت لوك D. Whitelock على جهود

جهوده في مجال التشريعات ، فهى واضحة وهامة ، الا أنه للأسف لم تصلنا قوانينه ، ولو لا اشارة ألفريد العظيم ملك وسكس (٨٧١ - ٩٠٩م) نفسه في مقدمة قوانينه بأنه قد استعان في اصدارها بقوانين من سبقوه وعلى رأسها « قوانين الملك أوفا » ، (٢) ماعرفا عنها شيئاً أثبتة .

وهنا لابد من وقفه لمناقشة سياسة أوفا الاقتصادية من خلال تشجيعه التجارة ، وسك العملات الازمة لتسهيل عملية التبادل التجارى وضمان سيولتها ، لما لها من أهمية في كشف النقاب عن أهم وأخطر جوانب البحث .

فعلى امتداد عصره ، قام الملك أوفا (٧٥٧ - ٧٩٦م) بجهود سياسية ، وخاصة المعارك الحربية من أجل وحدة الامة الانجليزية التي سخر كافة امكاناته المالية والبشرية من أجلها ، وقد نجح

=

أوفا ونشاطه التعليمي والعمانى واشاد به وللاسف فان كافة وثائق عصره قد ضاعت ولم يصلنا الا النادر اليسيير . انظر

Lettre of Alcuin to OFFA, King of Mercia (787 -

796). cf. E.H.D., Doc 195, p. 846 f.; E.H.D., p. 22 & the notes.

The Laws of Alfred (885 - 899), cf. E.H.D., Vol. I, No. (٢)
33, p. 407 ff; Letter of Alcuin to The Mercian Ealdorman
Osbert (797), cf. E.H.D., vol I, Doc. 202, pp. 854 - 56;
Cantor, N., The Medieval World (300 - 1300), N. Y, 1968,
p. 93.

في ذلك أثيما نجاح كما أسلفنا ، هذا ، ويعزى نجاحه في المقام الأول إلى ثروته المتحصلة من رسوم وأرباح البضائع والسلع التجارية المختلفة التي كانت ترد إلى إنجلترا من كافة الدول المعروفة آنذاك مما ساعد على تكوين تلك القوة العسكرية الرهيبة التي أفرزت شارلaman من جهة ، والتي استخدمها في إقامة صرح الوحدة الانجليزية وحماية انجازاته في شتى الميادين من جهة أخرى .

لا غرو أن جهود أوفا لرفع مستوى معيشة الأمة الانجليزية وإنجازاته في مجال تنشيط التجارة وسك العملات كانت هي شغله الشاغل، ولعلنا نجد في عبارة قالها هو نفسه عن أهمية التجارة ما يؤكد أهميته الكبير بها، إذ قال: «إن أي ملك يريد أن يرفع مستوى معيشة شعبه وتحقيق أمجاده ، لابد أن يهتم بالتجارة ويشجعها » (٣) . ولا شك أن هدفه من تشجيع التجارة كان في المرتبة الأولى اعداد القوة اللازمة لتحقيق أهدافه لتوحيد الأمة الانجليزية ورفع مستوى معيشتها ، عن طريق الرسوم المتحصلة من التجارة وأرباحها . والثابت أن علاقات إنجلترا مع القارة الأوروبية والعالم الإسلامي كانت قوية في المجال التجاري أبان عصر الملك أوفا . والحقيقة أنه يصعب على الباحثين تحديد النشاط التجاري بين إنجلترا والقاراء ، ولكن توجد شواهد تاريخية تؤكد ازدياده في القرن السابع وببداية الثامن الميلادي فلقد أشار المؤرخ بيد *Bede* في سياق حديثه عن أحداث عام ٧٦٩م إلى محاولات أحد التجار الفريزيان *Frisian* الموجودين في

لندن شراء أنسير حرب انجليزى ^(٤) وبعد حوالى قرن من الزمان وردت اشارة تقيد تواجد جالية تجارية كبيرة من التجار الفريزيان فى مدينة يورك York ورغم ذلك فان الاشارات عن مدى حجم التبادل التجارى بين انجلترا وبلاد الغال (فرنسا) قبل تلك الفترة كانت بسيطة ^(٥) .

سبق أن أوضحت أهمية التجارة بالنسبة للملك أوفا بالاشارة الى أن شارلمان عندما غضب منه — بعد رفضه العدول عن آرائه المعادية للكنيسة — قام بحرمان كافة التجار الانجليز من دخول المدن والموانئ لاتابعة له وأغلقها فى وجوههم كما أسلفا ^(٦) ولاشك أن هذا الاجراء قد هدد بالخطر مصالح التجار الانجليز والأفرنج على حد سواء ، فاضطر المكان الى مهادنة بعضهما البعض ، ومن ثم تمت اعادة العلاقات التجارية بين الجانبين الى سابق عهدهما من ناحية ، ومن ناحية أخرى عقد الملك أوفا مع شارلمان اتفاقية تجارية تعتبر الاولى من نوعها فى تاريخ انجلترا . تعهد فيها الطرفان بتسهيل سبل التجارة ، وكفالة الامن والحماية لتجار كلا البلدين . فمن جانبه ، تعهد شارلمان « بكفالة الامن والأمان للتجار الانجليز طبقا للاعراف التجارية القديمة » ، ثم استطرد قائلا : اذا حدث وأسىء اليهم أو ابتلوا بظلم جائر ، عليهم التقدم بشكایاتهم اليها

Bede, op. cit., pp. 244 - 245; cf, also, Stenton, op. cit., (٤)
p 220.

Stenton, op. cit., loc. cit. (٥)

(٦) انظر ما سبق ص ٩٥ وحاشية رقم ٤٧ من الفصل الاول .

(أى الى شرمان) أو الى قضاتنا ، ولسوف نصدر او امرنا لاحقاق الحق ، وكفالة العدالة لهم » . أما التجار الافرنج فلقد كفلت لهم نفس الاتفاقية الحماية والرعاية في ربوع انجلترا ، وجاء في هذا الصدد على لسان شارمان : « وبالمثل فان رجالنا اذا ماعنوا من أى عمل عدائى في بلادكم (أى في انجلترا) عليهم التقدم بشكالاتهم اليكم (أى الى الملك أوفقاً من أجل تطبيق قواعد قوانينكم العادلة »)^(٤) .

هذا ، ولما كان النشاط التجارى في حاجة إلى عملة متداولة ، لذا أصدر الملك أوفا قراراته باصلاح العملة ، وتوجهها بضرب عملات جديدة أخرى . ومايهمنا في هذا الصدد عملته الذهبية المشهورة ذات عبارات التوحيد الاسلامية ، التي سبق الاشارة إليها عرضاً من قبل تلك العملة التي لم تخلد اسم أوفا على مر التاريخ فحسب ، بل غلت شخصيتها بغموض شديد ، مما حير المؤرخين في فهمها ، ومن ثم صعب عليهم مهمة تفهم الاسباب الحقيقة التي جعلته يضرب هذا الدينار الذهبي ، الفريد في مظهره ومحبره ، تلك الاسباب التي سوف نتناولها بالبحث والدراسة التفصيلية ، بعد مقارنتها بكلة الآراء التي قيلت في تبرير اصدار تلك العملة وعلى ضوء ما جاء في المصادر والوثائق ، بغية الوصول إلى كشف السر الحقيقي من وراء ضرب هذا الدينار .

C.E.D., vol. III, pp. 487 - 498; E.H.D., vol. I, Doc. No. (V)
197, pp. 448 - 449; cf. also: Stenton, op. cit., pp. 220 - 224
and the notes.

ومن الأهمية بمكان ، وقبل مناقشة تلك الآراء ، ينبغي الاشارة إلى أن الانجلوساكسون قد ضربوا أول عملة لهم على طراز العملات الرومانية الفضية وليس الميروفنجية ، حدث ذلك في كل من لندن وكانتريبيوري وغيرهما من مدن وسط وجنوب إنجلترا ، ومع مرور الزمن ، تحولت تلك العملات الفضية إلى نحاسية في بعض المالك مثلما حدث في نورتمبريا ، وكان اسمًا الملك وضارب العملة ينقشان عليها . أما عملات جنوب إنجلترا فكانت فضية ، ونادرًا ما نقش عليها اسم الملك أو اسم الضارب ، مثل عملة مملكة مرسيا التي سكها كل من الملك بإندا (٦٣٢ - ٥٦٤م) ، وولده إيزلريد خليفته الثالث من بعده (٦٧٤ - ٧٠٤م) . كذلك تداولت إنجلترا الانجلوسaxonية عملة أقل حجمًا من الفضية ، عرفت باسم البنس Penny ، المعروف أن كلمة بنس قد استخدمت في بلاد الغال في القرن الثامن الميلادي ، مما يدل على قوة التبادل التجاري فيما بين البلدين في عصر الميروفنجيين ^(٨) .

وبعد تولي الملك أوفا عرش مرسيا ، وبعد بسط سيادته على المملكة الانجليزية ، أصدر أوامره الصارمة بوقف استخدام كافة

Stenton, op. cit., p. 222 & the notes; Hobson, B., *Coins & Coin Collecting*, London, 1965, p. 35; Kent, J., 2000 ^(٨)
Years of British Coins & Medals, British Museum Publications, London 1978, p. 15.

أنواع العملات السائدة في عصور سابقيه ، وتم تطبيق هذا القرار على كافة المالك الانجليزية فيما عدا نورثمبريا التي خضعت لسلطانه الفعلى في السنوات الاخيرة من حياته كما ذكرنا آنفا . هذا وعوضا عن العملة الملغاة ، أصدر أوفا أمرا بسك عملة جديدة امتازت عن الاولى بزيادة الوزن ، وكانت غالبيتها تحمل اسم الملك أوفا فقط ، باستثناء القليل منها الذي حمل اسم الضارب أيضا (٩) . ولقد تتواترت عملات الملك أوفا من حيث الشكل والحجم ، ويلاحظ أن عملات بداية عصره قد حملت صورته ، وكانت ذات سمات خاصة ميزتها عن كافة عملات الانجلوساكسون . أما عملات أخرىات عصره ، فقد أصبحت أقل جمالا رغم زيادة أوزانها قليلا عن سابقتها ، مع اختفاء صورته ونقش اسمه بحروف أكبر ، كما لو كان أوفا ي يريد ابراز اسمه بصورة أكبر وأعظم من أقرانه الملوك . هذا ويعلق المؤرخ ستنتون على تلك التغيرات الهامة التي أحدثها أوفا في مجال العملات أصدق تعليق فقال : « ان تاريخ العملات المتدولة في إنجلترا ، قد بدأ في عصر الملك أوفا » (١٠) .

ومن الغريب أن عملات بداية عصر أوفا كانت تحمل على الظهر

Blunt, C. S., «The Coinage of OFFA» cf. «Anglo - Saxon Coins» ed, R.H.M. Dolly, London 1961, pp. 49 - 50;
Stenton, op. cit., p. 222 & n. 3; Hobson, op. cit., p. 35;
Kent, op. cit., p. 15.

Stenton, op. cit., p. 223. (١٠)

علامة الصليب المسيحية ، أما الوجه فكانت صورة الملك عليه ، أما عمارات أواخر عصره ، فيلاحظ أنها في البداية قد حملت عالمة ليست بالصلب ، ولكنها مشابهة إلى حد ما ، وضعت بحجم أصغر ثم تلاشت في السنوات الأخيرة من عصره ! فضلاً عن اختفاء صورته كما أسلفنا (١١) . ولا شك أن ذلك يعد دليلاً قاطعاً على صحة ما وصلنا إليه بقصد ترجيح اعتقاد أوفا الإسلام ، ويضيف جديداً إليه . أما العملات الذهبية التي أصدرها أوفا فهي تتمثل في ذلك الدينار الذهبي الذي نقشت عليه عبارات التوحيد الإسلامية فضلاً عن نقش اسم الملك أوفا باللاتينية OFFA REX ولقد امتاز الدينار بسمات خاصة جعلته فريداً في نوعه قياساً إلى كافة العملات الصادرة في أوروبا الغربية على وجه الاطلاق في العصور الوسطى (١٢) .

(١١) نشر المؤرخ بـ Hobson B. المتخصص في علم النميات لوحتين تمثل الأولى أحد بنصات بداية عصر أوفا منقوشاً عليه اسم وصورة الملك على الوجه ، أما الظاهر فقد نقش عليه شارة الصليب بشكل كبير واضح في الوسط ، وتوضح اللوحة جمال ودقة نقوش عمارات تلك الفترة كما ذكرنا عالياً . أما اللوحة الثانية فتشير إلى بنس ضرب في الخيريات عصر أوفا ، ويلاحظ عدم وجود شارة الصليب الكبيرة كما كان الحال في الفترة الأولى من عصره ، وحل محلها اسم ضارب العملة المدعو بابا Babba أما الوجه فقد نقش عليه اسم الملك أوفا بشكل دائري حول دائرة صغيرة في وسط المركز أنظر :

Hobson, op. cit., p. 35.

(١٢) سمع العالم عن هذا الدينار لأول مرة عام ١٨٤١ وذلك في تقرير أعده السيد / أدريان دى لو نجبيير Adrian de Longperier

مهما يكن من أمر ، بعد دراسة علمية مستفيضة للدينار ، يلاحظ جهل ضاربه باللغة العربية ، ومن ثم يتتأكد لنا أن الدينار قد ضرب بدار المسك الخاصة التي أنشأها الملك أوفا في إنجلترا، يؤكّد ذلك الرأي وجود العديد من الأخطاء في نقوش كتابات الدينار العربية على الظهر والوجه ، ونذكر بعض ما استطعنا الوصول إليه من تلك الأخطاء فيما يلي :

أولاً : أخطاء الوجه

١ - كلمة « الله » في السطر الأول من مركز الوجه ، نقش

==

وارسله إلى جمعية هواة جمع المسكوكات والقلائد والأوراق المالية . وأشار فيه إلى أنه قد « حصل على هذا الدينار بعد جهد جهيد من الراحل دوق دي بلاكاس Duse de Blacas اثناء اقامته في مدينة روما » . هذا ويرجح اكتشاف هذا الدينار في مدينة روما او احدى الضواحي القريبة منها ، بالرغم من عدم وجود طيل قاطع يؤيد هذا الرأي او ذلك . لعل اكتشاف هذا الدينار في تلك المدينة قد جعل البعض يأخذ بالرأي القائل بأن اوفا قد ضربه من أجل دفع ضريبة او منحة القديس بطرس المقررة عليه للكنيسة الرومانية سنويا ، ذلك الرأي الذي اثبتنا عدم صحته في حينه . في هذا الصدد وللمزيد انظر : Blunt, op. cit., pp. 50 - 51 cf, also:

بلوك (مارك) : « مشكلة الذهب في العصر الوسيط » ، المقالة الأولى في كتاب بحوث في التاريخ الاقتصادي ، ترجمة ا توفيق اسكندر ، اصدار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٢٨ .

ضارب العملة الانجليزى حرف « الهاء المربوطة » فى شكل حرف « دال » .

٢ - أما كلمة « وحده » فى السطر الثانى من مركز الوجه ، فقد ورد حرف « الف » بدلا من حرف « الواو » .

٣ - كذلك وردت « الهاء المربوطة » فى نفس الكلمة السابقة « وحده » فى صورة شاذة لم ترد فى أى من العملات العباسية التى ضرب أوفا ديناره على طرازها .

٤ - فى كلمة « له » بالسطر الثالث من مركز الوجه ، يلاحظ أن حرف « الدال » قد ورد بدلا من « الهاء المربوطة » .

ثانيا : أخطاء الظهر

١ - فى كلمة « الله » بالسطر الثالث من مركز الظاهر ، وردت « الهاء » صحيحة كما هو الحال فى المسكوكات العباسية الذهبية التى ضرب الدينار على طرازها ، بعكس حالها فى كلمة « الله » حيث وردت فى صورة « دال » فى السطر الاول من مركز الوجه كما أسلفنا عليه .

٢ - فى هامش الظهر وردت كلمة « وخمسين » خطأ ، فهى لا تتنقق ومثيلاتها فى الدنانير العباسية المشابهة الطراز . فلقد سجل حفار قالب السك حرف « الميم » كما لو كان « سنة للباء أو الثاء أو التاء » .

تلك أمثلة أوردناها على سبيل المثال لا الحصر ، وتوارد أن

الدينار قد تم ضربه في دور السك الخاصة بالملك أوفا في إنجلترا كما أسلفنا ، وبهذا ينتفي احتمال القول بأن الدينار قد زيف أو أقحم اسم الملك أوفا عليه اقحاما^(٢) . وفيما يلى نص كتابات النقوش العربية واللاتينية على دينار الملك أوفا :

أولاً : الوجه :

بها مثـ :

محمد رسول الله أرسـله بالـهدى وـدينـ الحق ، ليـظهـرـه عـلـىـ الدـين
كـلـه .

مـركـزـ :
لـاـلـهـ إـلاـ
الـلـهـ وـحـدـهـ
لـاـ شـرـيكـ لـهـ

(٢) انظر اللوحة رقم (١) الخاصة بـدينـارـ الملكـ أـوفـا ، والـديـنـارـ العـبـاسـيـ
الـاـصـلـىـ الـذـىـ ضـرـبـ دـيـنـارـهـ عـلـىـ طـرـازـمـوـلـاسـفـ لـاـ تـوـجـدـ
سـوـىـ تـلـكـ الـقـطـعـةـ النـسـادـرـةـ مـنـ دـيـنـارـ الـمـلـكـ أـوفـاـ ، وـهـىـ
مـحـفـظـةـ بـالـتـحـفـ الـبـرـيـطـانـىـ . وـلـقـدـ حـصـلـنـاـ عـلـىـ تـصـرـيـحـ خـاصـ
بـنـشـرـ صـوـرـةـ الـلـوـحـةـ الـرـفـقـةـ هـاـهـنـاـ . وـجـدـيـرـ بـالـذـكـرـ أـنـ الـمـلـكـ أـوفـاـ قـدـ
ضـرـبـ دـيـنـارـهـ هـذـاـ عـلـىـ نـمـطـ دـيـنـارـ عـبـاسـيـ اـصـدـرـهـ الـخـلـيـنـةـ الـخـصـورـ
بـالـلـهـ (١٣٦ - ١٥٨ـ هـ / ٧٧٥-٧٥٤ـ مـ) . وـقـدـ اـسـتـمـرـ تـدـاـولـ هـذـاـ
الـدـيـنـارـ فـىـ عـصـورـ خـلـفـائـهـ مـنـ بـعـدـ وـمـاعـصـرـيـنـ لـمـلـكـ أـوفـاـ وـهـمـ :
الـمـهـدـىـ (١٥٨ - ١٦٩ـ هـ / ٧٧٥ - ٧٧٥ـ مـ) ، وـهـارـونـ الرـشـيدـ
(١٧٠ - ١٩٣ـ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩ـ مـ) . وـيـرـجـعـ أـنـ الضـرـبـ قـدـ تـمـ فـىـ
الـسـنـوـاتـ الـاـثـنـيـنـيـ عـشـرـةـ الـاـخـيـرـةـ مـنـ حـكـمـهـ (٧٨٤ - ٧٩٦ـ مـ /
١٦٨ - ١٨٠ـ هـ) ، أـىـ بـعـدـ أـنـ وـحدـ الـأـمـةـ الـأـنـجـيـزـيـةـ ، وـأـصـبـغـ قـوـةـ

ثانياً : الظهر :

هامش :

بسم الله ضرب هذا الدينار سنة سبع وخمسين ومئه .

مركز :

محمد

REX

رسوك

OFFA

الله

وهنا نجد أنفسنا أمام تساؤل ملح يطرح نفسه علينا في طلب الإجابة ، ألا وهو : هل اعتنق الملك أوفا الإسلام ، فضرب هذا الدينار تأكيداً لذلك ؟ أم أن هناك أسباباً أخرى ؟

قبل الإجابة ، ينبغي التتويه إلى أن كافة المصادر والوثائق المعاصرة والمتاخرة زمنياً لم تشر البنته إلى هذا الدينار من قريب أو بعيد ، وبالمثل أهملت دوائر المعارف العالمية والمراجع والمراجع المتخصصة الاشارة إليه ، رغم أن غالبيتها قد أشارت إلى عمليات

ترهيبها البابوية) ويخشاها شارلaman كما أسلفنا . انظر : عبد الرحمن فهمي محمد : موسوعة النقود العربية وعلم النميات (١) - فجر السكة العربية) ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٥ ، لوحة ٣٤ (دينار عباسى ذهبي) رقم ١٥٥٥٧ (رقم السجل بالتحف الاسلامى ١٨٣٣٨ ذهب وزن ٢٣٠٤ القطر ١٩) وايضاً انظر :
Brooke, G. C. English Coins from the Seventh Century to the present day, London 1932, pp. 22.

الفترة المبكرة من عصره • ومن الغريب — اضافة الى ما سبق — أن المؤرخين المعينين الحديثيين رغم امكانية تفهمهم معانى نقوش عبارات التوحيد الاسلامية الخاصة بالدينار بطريقة أو بأخرى ، فاننا نجد هم من ناحية أخرى قد تغاضوا كلية عن الاشارة الى تلك العبارات ، باستثناء البعض منهم الذين رغم اشارتهم الى تلك العبارات الاسلامية فانهم قد مروا عليها مرور الكرام دون تعليق يذكر رغم خطورة مدلولاتها ، ورغم تفهم بعضهم بل واجادته اللغة العربية قراءة وكتابة مما يجعل المرء يتساءل عما اذا كان هذا الاهمال متعمدا من أجل طمس حقيقة تاريخ هذا الملك العظيم لاعتناقه الاسلام ؟

الحقيقة ان الشواهد التاريخية ترجح أن الملك أوفا قد اعتنق الاسلام وسواء أكان قد اعتنقه وحده ، أم هو وأفراد أسرته وكبار رجال حاشيته ، فالثبت أن البابوية ورجال الكنيسة الرومانية قد جن جنونهم ، وخططوا مع شارلمان للتخلص من أوفا كما أوضحتنا من قبل • ولعل ذلك يفسر سبب اختفاء كافة وثائق عصر الملك أوفا دون غيره من الملوك الانجليز ، رغم عظم مكانته باعتراف كافة

(١٤) انظر دوائر المعارف والمراجع الاتية :

Atiya, A. S., Crusade, Commerce & Culture, N. Y. 1966,
p. 169; Kent, op. cit., p. 15 & plate No. 5; Hobson, p.
35; D. U., p. 1382; E.B., vol. VI, p. 800; N. A. E.,
vol. VI, p. 453; A. A. E., vol. 14, p. 355; O. C. E. L.,
p. 562; N. E. B., vol. VIII, p. 488, C. E., vol. XI, p.
215; Ch. E., vol. X, p. 194.

دواوين المعرف العالمية ، والمارجح المتخصصة ، ولا شك أن خبياعها مرده قيام رجال الكنيسة الانجليزية بجمع كافة الوثائق والتخلص منها بتحريض البابوية ضمانا لطمس معالم تاريخ أوفا وجعله نسيا منسيا .

وهنا لابد من التوقف برهة لمناقشة كافة الاراء التي قيلت في تبرير ضرب الملك أوفا لدیناره هذا ، للتتأكد من مدى صدقها أو عدمها ، على ضوء ما سبق سرده من تفصيات أحداث عصره وانجازاته في كافة الميادين العمرانية والتشريعية والثقافية والتجارية من جهة ، وعلى ضوء علاقاته بكل من البابا وشارلماں والخلافة العباسية من جهة أخرى ، آملين الوصول الى الحقيقة التاريخية المزهنة عن أي غرض آخر .

الثبت أن دینار الملك أوفا كان ولازال حتى ساعتنا هذه موضوع بحث ودراسة مستفيضة من العديدين المهتمين بدراسة تاريخ أوربا في العصور الوسطى وعلم النّويات بصفة عامة . هذا ، ولقد عزا البعض سبب سك هذا الدينار إلى رغبة الملك أوفا في دفع المنحة أو الضريبة المقررة عليه سنوياً للكنيسة الرومانية والمعروفة باسم بنس بطرس Peter's Pence (١٥) . وهناك رأى آخر يقول بأن الملك أوفا قد ضرب هذا الدينار « اشباعاً لحالة نفسية انتابتة ، وتحقيقاً لرغبة جامحة سيطرت عليه ، ودفعته لضربه تشبيهاً بالدينار الإسلامي ذي المكانة العالمية في عالم تجارة العصور الوسطى » ثم علل هذا العمل لرغبتة « في الظهور والشهرة والتفاخر

بين أقرانه من الملوك المعاصرين بمقدرتها على سك مثل هذا الدينار (المقوش *mancus*) من أجل تقديمها إلى البابوية وفاءً للمنحة المقررة عليه سنوياً ، مما يتفق والرأي السابق الذكر عاليه . ويعزى أصحاب هذا الرأي سبب الضرب إلى رغبة الملك أوفا في « أيام البابوية وعقابها » ! وهناك فريق آخر يقول بأن الدينار قد زوره البعض وأقحم اسم الملك أوفا عليه ، ومن ثم نسب إليه زوراً وبهتانًا دون توضيحهم أسباب أخذهم بهذا الرأي (١٦) . وجدير بالذكر أننا أوضحنا بالدليل القاطع عدم صحة هذا الرأي ، وأيدينا ذلك بما أثبتناه من أنه قد تم ضربيه في دور سلك العملة الخاصة بالملك أوفا في إنجلترا كما أسلفنا (١٧) .

أما بالنسبة للرأي القائل بأن أوفا سك الدينار لدفع المنحة أو الضريبة السنوية للبابوية (المعروفة باسم بنس القديس بطرس) فهو رأي غريب لا يتفق والمنطق السليم ، إذ كيف يتقبل الباحث المصحف القول بسداد الجزية أو المنحة السنوية للبابا بمثل هذا

(١٦) لخص وأورد تلك الآراء س . ١٠ . بلنت وذلك بعد اطلاعه على كافة المراجع التي تناولت دينار الملك أوفا بالدراسة والتحليل . انظر تلك الآراء في :

Blunt, pp. 49 - 51, 62; cf. also: Allan, J., cf. N. C., 1914, p. 7 ff.; Allen, D. F., cf. B. N. J., vol. 25, 111, 1948, pp. 267 - 269; Beltran p., cf.; Centennial Publication of the American Numismatic Society, 1958, pp. 83 - 88.

(١٧) انظر ما سبق ص ١٠٩ - ١١٢ .

الدينار ذى عبارات التوحيد الاسلامية ! خاصة وأنها فى نظرهم عبارات كفر وهرطقة وخارجية عن الايمان الصحيح قلباً وقائلاً !^{١١١}

وبالمثل ، تجد الرأى الثانى مرفوضاً كلياً ، خاصة وأن أصحابه دللوا على صدق رأيهم بالقول « بجهل الملك أوفياً ومستتساريه بمعانى عبارات التوحيد الاسلامية عندما قدمت البابوية » ، وفاء للمنحة أو

(١٨) لعلنا نجد فى مواقف البابوية والكنيسة الرومانية المعادية لمثل تلك العبارات الاسلامية فيما بعد عصر أوفا ابن الحروب الصليبية ما يؤكد رفض الرأى القائل بدفعن أوفا الجزية السنوية بهذا الدينار . ولقد حثت ان ضرب الامراء الصليبيون فى طرابلس وصيدا عمارات عليها اسم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والتاريخ الهجرى . فرفض مندوب البابا المصاحب لحملة لويس التاسع اندماك تلك العملة ، وأصدر قراراً بالحرمان ووافقه البابا انوسنت الرابع (١٢٤٣ - ١٢٥٤ م) في قراره ، وأصدر قراراً بتحريم هذه العملة كلياً ، وأمر بضرب عمارات ذات عبارات صليبية . وهكذا يتتأكد لنا صحة ما وصلنا اليه عن رفض البابا قبول مثل هذه العملة نظير الوفاء بالجزية المطلوبة من أوفا سنوياً ، كما اشارت المراجع . فى هذا الشأن وللمزيد عن تلك العملات وأهمية الدنانير العربية فى التجارة العالمية ، انظر :

Schlumberger, G., Numismatique de L'Orient Latin,
Paris 1878, pp. 139 - 140; Prawer, J., The Latin Kingdom
of Jerusalem, London, 1972, pp. 282 ff.; Atiya, op. cit.,
pp. 16 - 167; cf. also:

مصطفى حسن الكنانى . العلاقات بين جنوة والشرق الادنى الاسلامى
(١١٦١ - ١٢٩١ م / ٥٦٧ - ٦٩٠ھ) ، الاسكندرية ٦٩٨١ ، ص

الجزية السنوية المقررة على مرسيا !^(١٩) وإذا افترضنا جدلا صحة رأى ج. ألان J. Allan هذا ، وقلنا بجهل الملك أوفا ومستشاريه بمضمون عبارات التوحيد الاسلامية تلك ، فain كأن كبار رجال الكنيسة الانجليزية وماذا كان رد فعلهم تجاه اصدار تلك العملة ، وخروجها الى حيز النور في مجال المعاملات التجارية ؟ هذا ، وإذا علمنا أن رجال الكنيسة الانجليزية وعلى رأسهم البابا الرومانى كانوا على شقاق دائم مع الملك أوفا ، وكانوا دوما يتربصون به الدوائر كما أسلفنا ، لذا ، لا يمكن القول باى حال من الاحوال بجهل البابوية ورجال الكنيسة الانجليزية بمفهوم تلك العبارات ، وصممهم

(١٩) في هذا الصدد وللمزيد انظر : Allan, op. cit., p. 77 ff.

وجدير بالذكر ان الصليبيين في الشرق قدوا الدينار الفاطمية المعروفة بارتفاع وزنها ونقاء عيارها ، ثم قلوا مثيلاتها الإيوبيّة فيما بعد وعرف المؤرخون الدينار الصليبيي المقلد باسم Besant Sarracenat وعرفه العرب باسم الدينار الصوري ، وكان يزن ثلثي الدينار الإسلامي المقلد تقريبا . وأول دنانير صليبية مقلدة للدينار الفاطمي حملت الحرفين B. T. . وأحيانا كان الصليب ينقش عليها ، وأحيانا أخرى لا ينقش . وتفسر بعض المراجع المتخصصة الحرفين بأنهما اختصار لكلمتى برتراند Berterand وتانكرسد Tancred ، ولربما كان الحرف T. يرمز الى صور Tyre أو طرابلس Tropoli وحرف B. قد يعني برتراند أو بيروت Beirut ويلاحظ أنه رغم تحريم البابوية القاطع لهذه الدنانير الا ان الإيطاليين ضربوا عملات صليبية المضمون بها عبارات التثليث بدلا من عبارات التوحيد الاسلامية وذلك باللغة العربية مع وجود الصليب في المنتصف ، واحتفاظها بالاطار العام للدنانير الاسلامية

الاتام حتى يتم تداولها في الأسواق أمام ناظرهم ، بل والأغرب من ذلك قبولهم ايها وفاء لمنحة القديس بطرس كما قيل ! ولعلنا نجد في رأي آخر قاله المؤرخ س .ء بلنت ما يؤيد ما وصلنا اليه ، اذ قال : « ٠٠٠ ولكننا اذا أخذنا بالرأي القائل بجهل الملك أوفا بحقيقة مضمون نقوش عبارات التوحيد الإسلامية على الدينار ، فان الحال يختلف تماما بالنسبة لكتاب المسؤولين من رجال الكنيسة والعلمانيين في مختلف الادارات الدينية والمدنية ، اذ لا يمكن القول بجهلهم هم ايضا ، وعدم تفهمهم مضمون تلك العبارات » وخطورتها (٢٠) . وجدير بالذكر أن المؤرخ بلنت بعد أن انتقد الرأي الانف الذكر ، خرج برأي آخر جديد في صدد تبرير ضرب هذا الدينار ، قال : « ٠٠٠ الثابت أن الدنانير العربية قد سادت عرش التجارة العالمية غرب البحر المتوسط ، ولعدم وجود دليل واضح يحسم أمر حقيقة هدف الملك أوفا من ضرب هذا الدينار ، فان من

ولعلنا نجد فيما سبق ما ينفي القول بقبول البابا منحة القديس بطرس القدمة من أوفا كما يقولون بمثل هذا الدينار الإسلامي السمات ككل ، انظر :

Schlumberger, op. cit., pp. 130 - 140; Lavoix, H., Monnais a Legendes Arabes frappees en Syrie par Les Croises, Paris 1877, pp. 40 ff; Balog (p.) et Yvon (J.), Monnais a Legendes Arabes de L'Orient Latin, (cf. La Revue Numismatique, 6 eme Serie, T. 1, 1958), p. 137 ff.

Blunt, op. cit., p. 51.

(٢٠)

الأفضل الأخذ بالرأي القائل بأن النصب كان من أجل التعامل
به في التجارة الخارجية » مع المسلمين بالطبع (٢١) .

هذا ، وقبل مناقشة مدى صحة رأي بلنت الآتف الذكر ، فمن
الأهمية بمكان الاشارة إلى أن الدينار الإسلامي أو المنقوش *mancus*
كما عرفه الغربيون ، كانت له قيمته ، وكان يتصدر عرش المعاملات
التجارية في العالم الوسيط ، بسبب ارتفاع وزنه ونقاء عياره قياسا
بغيره من الدنانير اللاتينية المقلدة له . ورغم المحاولات التي بذلت
لتقليده ، فالثابت أن التجار المسلمين وكذلك كبار التجار الإيطاليين
رفضوا التعامل بغير الدنانير الإسلامية الأصلية المضمونة العيار
والوزن . لذا ، اضطرت كافة تجار أوروبا ، وبالمثل التجار
الإنجليوساكسون إلى التعامل بالدنانير الإسلامية دون غيرها ، ومن
ثم فلم يكن هناك داع يدعو الملك أوفا لضرب ديناره هذا من أجل
التجارة كما يقولون . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، ينتهي الأخذ
بما قاله بلنت في هذا الشأن . وأية ذلك ، ما ذكره «موريس لومبار»
في سياق حديثه عن أهمية الدنانير الإسلامية الأصلية ، وتفضيل
التجار الإنجلiz وغيرهم من الأفرنج التعامل بها مع التجار المسلمين
وعدم التعامل بمثيلاتها المقلدة الأوروپية الضرب ، اذ قال : « ٠٠٠ أن
هذه السكة المقلدة لم تكن على نطاق واسع ، لأن الذهب القادم من
البلاد الإسلامية إلى الغرب الأوروبي كان في صورة نقود مسکوكة ،

فاستخدمته أوربا البربرية كما هو ، واستخدمته فى دفع ثمن الواردات من الاسواق الخارجية سواء أكانت من الاسواق الاسلامية ، أو أسواق روسيا « امارة كييف أو أسواق البندقية وبيزنطة » (٢٢) .

ان أحدا لا ينكر قوة التواجد الاسلامى التجارى فى أغلب دول أوربا بما فيها انجلترا الانجلوساكسونية فى العصور الوسطى منذ نهاية القرن السابع الميلادى ، بدليل اكتشاف العديد من العملات الاسلامية ، فضلا عن تأكيد المراجع لهيمنة الدينار الاسلامى المعروف *Soldus* بالمقوش على عرش التجارة العالمية ، على حساب الصدلى الذهبى الذى توقف استخدامه فى أوربا الغربية بما فيها انجلترا الانجلوساكسونية ، منذ بداية النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى / النصف الثانى من القرن الثانى المجرى (٢٣) ، مما يؤكدى عظم وقوف اثر التواجد الاسلامى التجارى فى أوربا الغربية بعامة ، وانجلترا الانجلوساكسونية ابان عهد الملك اوفا بخاصة .

(٢٢) لومبار (موريس) : « الاسس النقدية للسيادة الاقتصادية ، الذهب الاسلامى منذ القرن السابع الى القرن الحادى عشر الميلادى » ، المقالة الثانية فى كتاب بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، ترجمة توفيق اسكندر ، اصدار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٧٣ - ٧٤ .

(٢٣) فى هذا الشأن ، وللمزيد عن هيمنة التجار المسلمين والدينار الاسلامى على عرش التجارة العالمية فى العصور الوسطى ، وتواجدهم فى أوربا وانجلترا انظر : لومبار : السابق ، ٧٣ - ٧٨ ، وايضا : Atiya, op. cit., pp. 167 - 169.

ولما كان الأوربيون يفضلون التعامل مع التجار المسلمين بالدنانير الإسلامية الأصلية بسبب رفض الآخرين التعامل بغيرها ، لذا ينتهي الأخذ بالرأي القائل بأن أوفاً قد سك "ديناره من أجل التعامل به في التجارة الخارجية" . ويلاحظ أن بلنت نفسه قد عاد وشكك في رأيه السابق ، اذ قال بأنه قد « رجح هذا الرأي (أى أن السك كان من أجل التعامل التجاري في الخارج) لعدم وجود دليل واضح يحسم أمر حقيقة ضرب هذا الدينار » ، وأخيراً عاد بلنت ونفي احتمال الأخذ برأيه السابق ، حيث خرج علينا برأي آخر مردود أيضاً ، ويتناقض كلية مع ما قاله من قبل ، اذ قال : « ... الا أن احتمال القول بأن الملك أوفا قد ضرب هذا الدينار لاغراض دعائية خاصة ، يجب أن ينظر إليه بعين الاعتبار » (٤) . دون أن يذكر المقصود بقوله بأن الضرب كان « لاغراض دعائية خاصة » . ولعلنا على ضوء ما سبق ذكره عن أمجاد الملك أوفا وإنجازاته الهائلة في شتى نواحي الحياة في إنجلترا ، فضلاً عن شهرته التي جابت الأفاق كرجل دولة ودبلوماسي محظوظ من ناحية ورثبة شارلaman والبابوية منه ، واعتراف الأول بعظمته ومعاملته له معاملة اللند للند من ناحية أخرى ، نجد لدينا ما يؤكّد عدم حاجة أوفاً للدعائية بمفهومها المعروف أما إذا كان بلنت يقصد — دون الأفصاح

عما فى قراره نفسه خوفا من الكنيسة — الدعاية من أجل اعلان أوفاً اعتقاده الاسلام جهاز نهارا ، فهذا هو التفسير النطقي الذى يجب أن نأخذ به وحده دون غيره ، وان صح هذا الرأى ، فاننا نكون قد أضفنا دليلا جديدا يؤكّد صحة ترجيحتنا اعتقاد أوفا الاسلام من جهة ، وكراهيّة البابوية ورجال الكنيسة وشارلماן له ، وتخطيطهم للتخلص منه من جهة أخرى كما أسلفنا .

وهنا ثمة تساؤل يلوح في الأفق ملوبا بطلب الإجابة ، وأعني اذا كان أوفا فعلًا قد اعتقاد الاسلام ، فكيف تم ذلك ؟ وعن أي سبيل وصلت الى مسامعه الدعوة لاعتقاده ؟ . قبل الإجابة يجب أن نعرف بادىء ذى بدء أن الاكتشافات الاثرية قد أكدت عمق جذور العلاقات التجارية بين الشرق الادنى الاسلامى والقاربة الاوربية بعامة ، وشمال اوربا وانجلترا بصفة خاصة ، ليس منذ نهاية القرن السابع الميلادي كما أسلفنا فحسب ، بل انها كانت أعمق جذورا من تلك الفترة كذلك . وأعني أن المصادر والمراجع تؤكد أن البريطانيين كانوا على صلة تجارية بالشرق في العصر الروماني حيث استوردوا البردى ودهان البسم والتقرفة والزنجبيل والعطور والبخور من مصر وبلاد الشرق بعامة ^(٢٥) . وبالقطع لا بد أن تلك العلاقات قد ازدادت قوة ونمت بين الشرق وبريطانيا بعد ظهور الاسلام وانتشاره من جانب ،

Richmond, I. A., Roman Britain, London 1971, p. 180. (٢٥)

والمزيد عن نشاط بريطانيا التجارى مع الشرق وكافة دول حوض البحر الابيض المتوسط في العصر الروماني ، انظر ١٢٠ والحوالى ، وأيضا انظر :

Richmond, op. cit., pp. 142 - 185.

وبعد قدوم الانجلوساكسون إليها ، واقامة ممالكهم كما أسلفنا بصفة عامة ، وفي عصر الملك أوفياً بخاصة من جانب آخر . إذ الثابت أن تلك العلاقات قد قويت وازدهرت فيما بين انجلترا وبين الخلافة العباسية في تلك الآونة ، ولابد أنه كان هناك تبادل للسفارات فضلا عن التبادل التجارى ، الذى استتبعه قدوم التجار العرب إلى انجلترا لادارة أمور تجارتهم وتصفية حساباتهم المختلفة ، حاملين معهم كافة أنواع السلع الشرقية ، ثم عودتهم أدراجهم إلى بلادهم حاملين معهم شتى أنواع البضائع والسلع الانجليزية والأوربية . ولاشك أن منافسة أوفا شارلمان على السيادة آنذاك وشعوره بأنه ند قوى له قد جعل الأول يحذو حذو الأخير بتعزيق روابطه التجارية فضلا عن علاقاته السياسية مع العباسيين ؛ تلك العلاقات التي قويت أو اصرها بصفة خاصة أيام خلافة هارون الرشيد ، والذى أكدت المصادر قوة علاقات شارلمان معه ، وتبادله وأيام الهدايا والسفارات المختلفة ^(٣٦) . يؤيد ذلك الرأى ، رأى آخر مشابه ذكره فرانك سنتتون ، إذ انه أشار إلى أن سمات دينار الملك أوفا الاسلامية العباسية الطراز « تؤكد بقوة وجود علاقات تجارية

(٣٦) عن قوة علاقات شارلمان بهارون الرشيد وتبادلهما الهدايا والسفارات
انظر :

Einhard & Notker the Stammerer, Two Lives of Charlemagne, trans. with an Introduction by Lewis Thrope, London 1974, pp. 70., 143 - 149.

وطيدة فيما بين إنجلترا والخلافة العباسية في عصر الملك أوفا^(٢٧) مما يحتم تواجد نوع من تبادل السفارت والمعوثين الرسميين مع الخلافة العباسية ، لتفوقة روابط إنجلترا والعلاقات التجارية فيما بينها وبين الخلافة العباسية ، فضلاً عن تشجيع التبادل التجاري بين الطرفين ، مع احتمال كبير لعقد هؤلاء المعوثين عدة اتفاقيات تجارية مع إنجلترا على نمط تلك التي عقدها أوفا مع شارلمان كما ذكرنا من قبل . إضافة إلى ذلك يمكن القول بتدفق التجار المسلمين بسفنهم ، وانطلاقهم في أنحاء المدن والموانئ الانجليزية زرافات ووحدانا لبيع مامعهم وشراء ما يحتاجون إليه .

هذا ، ولما كان التجار المسلمين ليسوا مجرد تجار فحسب بل كانوا دعاة إسلاميين في نفس الوقت وعلى علم تام بكل الأمور الفقهية وأصول الدعوة والشريعة الإسلامية كل ، فضلاً عما اتسموا به من حسن خلق وسلوك قويم واستقامة وأمانة ، لهذا كانوا بحق خير مثال يمثل المسلم القدوة فأعطوا المجتمعات التي تاجروا معها

(٢٧) عزي ستنتون ضرب دينار الملك أوفا المشهور ، إلى قوة علاقاته التجارية بالعباسيين ، وقال أن تلك العلاقات « قد بترت انتاج الملك أوفا لعملة ذهبية يمكن تداولها في الأسواق ، بحيث تكون مقبولة لدى التجار المسلمين بالقطع حتى يقبلوا التعامل بها » ، إلا أن هذا الرأي قد سبق أن تناولناه وأكدنا خطأه . انظر ما سبق ص ١١٨ - ١٢٢ والحوالشى ،

صوراً مشرقةً عن الإسلام والمسلمين وسمّاهم ، ودعوها إلى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد ، من منطلق إيمانهم بعالية الدعوة الإسلامية ، وتيقنهم بأن هداية الناس إلى الحق فرض ، على كل مسلم القيام به كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، أملاً في حصولهم على ما هو « خير ٠٠٠٠ من حمر النعم »^(٢٨) وأضعين نصب أعينهم قول الحق جل وعلا لرسوله الكريم ، بسم الله الرحمن الرحيم : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (سبأ - ٢٨) ، وقوله جلت قدرته

(٢٨) في يوم خيبر أعطى الرسول ﷺ الراية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وبعد أن بشره بالفتح ، طالبه بالسير إليهم بأدب وأناء ، ثم بدعتهم إلى الإسلام بعد أن يوضح لهم حقوق ومعنى عبادة التوحيد (لا إله إلا الله) ، ثم اختتم صلوات الله وسلامة عليه حديثه إلى علي بقوله « ٠٠٠ فوالله لان يهدى الله بك رجالاً واحداً خيراً لك من حمر النعم » . وحمر النعم بسكون الميم وضم الماء تعني الإبل الحمر ، وهي أنفس الثروات عند العرب . وفي الحديث ترغيب وتحث على الدعوة إلى الله ، ليحصل الداعي إلى الوحدانية على هذه الفضيلة الظليلة . أنظر نص الحديث في صحيح البخاري ، (باب غزوة خيبر) ، طبعة الشعب ، القاهرة (بدون تاريخ) ج ٥ ، ص ١٧١ ، صحيح مسلم ، (باب من فضائل على رضي الله عنه) ، طبعة عيسى الطبى ، القاهرة (بدون تاريخ) ج ٢ ، ص ٣٦١ ، محمد بن عبد الوهاب : كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، نسخة تحتوى على تعليقات حفيده تحت عنوان (قرة عيون المؤمنين في تحقيق دعوة الانبياء والرسلين) ، (حساب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله) ، القاهرة بدون تاريخ ، ص ٣٥ - ٤١ والحواشي .

بسم الله الرحمن الرحيم : « يأيها النبي إنما أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً » (الأحزاب ٤٥ - ٤٦) ، وأية ذلك الرأي انتشار الإسلام بفضل جهود هؤلاء التجار الدعاة في بلدان وجزر جنوب شرق آسيا والمحيط الهندي ، فضلاً عن بلاد شرق وغرب ووسط أفريقيا أيضاً .

من هذا المنطلق ، ليس ثمة ما يمنع من وجود نوع من الاتصالات المباشرة بين بعض من كبار هؤلاء التجار المسلمين وبين أوقاً ، ناقشوا خلالها معه مفهوم عبارات التوحيد الإسلامية المنقوشة على الدينار العباسى بعد أن بهرتهم نقوشها ، فكان أن أوضح هؤلاء التجار الدعاة معانيها له مع عرضهم عليه فكرة اعتناق الإسلام ومناقشتهم إياه في كافة الأمور المتعلقة بطبيعة المسيح عيسى بن مرريم عليه السلام ومكانة أمه العذراء البتول الصديقة مرريم رضى الله عنها ، مترسمين خطى جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه مع النجاشي ملك الحبشة ، ونجاحه في اقناعه باعتناق الإسلام (٢٩) ، فكان أن اقتنع الملك أوفقاً بالاسلام ، فأسلم وجهه لفاطر السموات والأرض . ولعله آمن به وحده أو مع أسرته وكبار معاونيه في

(٢٩) التویری : نهاية الأرب في فنون الأدب ، وزارة الثقافة والارشاد ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب القاهرة ١٩٥٤ ، ج ١٨ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، الاسكندرية ١٩٧٥ ، ص ٢٨ - ٣٠ .

بداية الامر ، مع كتمه الامر سرا الى حين اصداره اوامرہ بسك تلك العملة الذهبية ، والتى احتار المؤرخون الحدیثون فی تفسیر أسباب سکھا . هذا ، ومن الممكن القول باحتمال أن بعض افراد السفارات المتبادلة فيما بين الخلافة العباسية وبين الملك أوفا قد عرضوا عليه فكرة اعتناق الاسلام ، فآمن بعد افتتاح ، ومن تم كان نقش اسمه مع عبارات التوحيد الاسلامية (لا الله الا الله وحده لا شريك له ، محمد رسول الله) على دیناره هذا من جهة فضلا عن قراراته برفع شارة الصليب وصورته من نقوش عملاته من جهة أخرى ، محصلة طبيعية لاقتئاعه هذا .

مهما يكن من أمر ، وسواء صح هذا الترجيح أم ذاك ، يمكننا هنا الاخذ بالرأى القائل بأن أوفا أصدر دیناره هذا « اشباعاً لحالة نفسية انتابتة وتحقيقاً لرغبة جامعة سيطرت عليه » (٣٠) . ولعل صاحب هذا الرأى قد اقتنع في قراره نفسه باعتناق أوفا الاسلام ، الا أن ضغوط الكنيسة والتعصب الاعمى ضد الاسلام جعله لا يلتزم بالحقيقة الواجب توافرها في المؤرخ المنصف ، مما حال بينه وبين البوح بمكتون صدره .

هذا ويحضرنى في هذا الصدد الاشارة الى أن هناك مؤرخا

(٣٠) انظر ما سبق ص ١١٤ - ١١٥ .

من أشهر مؤرخي أوروبا في العصور الوسطى ، فضلاً عن تعمقه في تاريخ الحضارة الإسلامية . قد تناول تاريخ العلاقات التجارية بين المسلمين والغرب الأوروبي الوسيط ، فأورد ما يؤكد تربع العملة العربية على عرش التجارة العالمية آنذاك ، لدرجة أن ملوك أوروبا قلدوها ، ضاربا المثل بدينار الملك أوفا فقال : « ۰۰۰ ان العملة الذهبية المشهورة التي ضربها الملك أوفا ملك مرسيا (٧٥٧ - ٧٩٦ م) قد نقش على أحد وجهيها اسمه باللغة اللاتينية من اليمين إلى اليسار OFFA REX على طراز الكتابة العربية ، أما الوجه الآخر فقد حمل نقشا عربيا ، وهذه العملة تعد تقليدا واضحأ للدينار العربي ، مما يؤكد قوة نفوذ وهيمنة التجار العرب وعملتهم على عرش التجارة العالمية في تلك الأونة » (٣١) .

. والغريب الملحوظ في تلك الرواية أننا إذا كنا نلتمس الاعذار للمؤرخين الغربيين على اختلاف جنسياتهم أو عقائدهم لعدم المامهم باللغة العربية ، رغم امكانية تفسيرهم لمعانى نقوش الدينار بطريقة أو بأخرى كما أسلفنا ، الا أن الحال هاهنا يختلف كلية ، فصاحب تلك العبارة يجيد العربية الفصحى كتابة وقراءة ، بل وعلى علم تام بما جاء في الكتاب والسنة بحكم تخصصه في دراسة تاريخ الحضارة الإسلامية . ومن ثم لا يعقل بأى حال من الاحوال أن يكون قد عجز

عن تفسير مفهوم عبارات التوحيد الاسلامية (لا الله الا الله وحده لا شريك له — محمد رسول الله) المنقوشة على وجهى الدينار . كذلك نستبعد عدم قدرته على السفر الى انجلترا والاطلاع على نسخة الدينار الوحيدة المحفوظة بالمتحف البريطانى ، مما يشير الى دلالات هامة لها مغزاها الكبير فى صدد تبرير سك أوفا لهذا الدينار . ولاشك أن هناك أحد احتمالين لا ثالث لهما ألا وهما : اما أن يكون صاحب تلك الرواية قد نسى الاشارة الى مدلول عبارات التوحيد الاسلامية أو تناساها . والاحتمال الاول مرفوض تماما لاما له بلغة الضاد كما أوضحنا ، أما الاحتمال الثانى فهو الاكثر ترجيحا ، ولعله قد اقتضى فى قرارة نفسه باعتناق أوفا الاسلام ، ولكن لعدم وجود نص صريح من أى من المصادر أو الوثائق فى متناول يده يؤكذ ذلك ، تعمد تجاهل الاشارة الى مفهوم تلك العبارات الى حين حصوله على ما يدعم به رأيه . وخلاصة القول وسواء أكان أى من الاحتمالين صحيحا أم غير صحيح ، فما لاشك فيه أن عدم اشارته فى حد ذاتها تؤكد صحة ما وصلنا اليه من ترجيح اعتناق أوفا الاسلام ويضيف جديدا اليه (٣٢) .

(٣٢) جدير بالذكر أن صاحب الرواية المذكورة عاليه ، عند اشارته الى حركة الجهاد المقدس لدى المسلمين ، قد أورد عبارة مؤداها احترام النبي محمد ﷺ « الانبياء السابقين ، ولم ينكر الاسلام تعاليمهم أو كتبهم المقدسة » ، ثم استطرد مشيرا الى التحرير الذى ادخل على التوراة والانجيل ، واختتم عبارته مشيرا الى حتمية زيارة

=

=

ال المسلم لاماكن المقدسة ، ثم ذكر حديثا للرسول ﷺ بطريقه مشوهه لها دلالتها الخطيرة اذ قال « ويؤكد احد المؤلفين أن صلاة واحدة نقام في المسجد الاقصى تعادل الف صلاة في غيره من المساجد » ولا شك انه اخذ حديثا رواه ابو هريرة وعائشة رضي الله عنهمما وكتبها بالصورة التي اشرنا اليها . وصحة الحديث . قال رسول الله ﷺ - وليس احد المؤلفين كما قال - « صلاة في مسجد خير من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الاقصى » .

انظر : المنذرى الترغيب والترهيب ، مكتبة الدعوه الاسلامية القاهرة ، بدون تاريخ ، ج ٢ (باب الترغيب في الصلاة في المسجد الحرام ومسجد المدينة وبيت المقدس) حديث رقم ١٣ ، ص ١٣٨ ،
انظر :

Atiya, op. cit., p. 133.

- ١٣١ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ، وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كَانَ
مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ »

(إبراهيم : ٤٦)

الفصل الثالث

- ١٣٣ -

سور أوفقا العظيم ودلاته

(٧٩٦ - ٧٨٤)

-
- تخطيط وطبوغرافية السور .
 - حروب أوفقا ضد البريطانيين في ويلز ، ونتائجها .
 - مختلف الآراء حول أسباب البناء ، ودلاتها .
 - اهمال المصادر والبرامج الاشارة الى ظروف موت الملك أوفقا المفاجيء ، ومكان دفنه ، ودلاته .
 - محاولة الملك هنا (جون) اعتناق الاسلام ، ترسما لخطى الملك أوفقا من قبله ، ودللاتها ونتائجها .

على امتداد الفصلين السابقين ، وبعد أن استعرضنا جهود رجل السياسة والحروب أوفيا ، التي بذلها في الحقل الدبلوماسي والميدان العسكري على امتداد عصره (٧٥٧ - ٧٩٦ م) ، من أجل توحيد المالك الأنجلوساكسونية تحت قيادته، وردو دفع البابوية وشارل蔓 المضادة ، وكراهيتهما له بسبب اعتقاده الإسلام كما رجحتنا من جهة ، وبعد أن أمننا اللثام عن دوره الحضاري كرجل دولة ومصلح اجتماعي ، بالإشارة إلى الجهد التي بذلها للنهوض بالتجارة والثقافة والتعليم والجيش ، فضلاً عن إصلاحاته التشريعية والمالية التي أنجزها ، رفعاً لمستوى معيشة الانجليز ، وحماية مكاسبهم السياسية والاقتصادية التي حصلوا عليها في عهده من جهة أخرى ، ينبغي أن نتناول بالدراسة هنا أهم سمات علاقات أوفيا بالبريطانيين في ويلز Wales ، من خلال الإشارة إلى سوره العظيم الذي أقامه على حدوده معهم ودلائله الهامة ، لما في ذلك من أهميته في كشف بعض جوانب البحث الغامضة ، وسد فجواته .

فمن الملاحظ أن الملك أوفيا قد أقام سورا ضخماً على امتداد حدوده مع ويلز ، اصطلاح المؤرخون على تعريفه باسم سور أو خندق الملك أوفيا OFFA'S DYKE ويعتبر هذا السور من وجهة النظر الهندسية أعظم عمل إنشائي أقيم على سطح الأرض في أوروبا على امتداد تاريخها القديم والوسطي .

وللأسف الشديد ، وكما هي العادة بالنسبة لوثائق عصر الملك أوفاً التي ضاعت ، لم ترد عن هذا السور أية إشارة تذكر في أي من المصادر المعاصرة . ولو لا إشارة عابرة ذكرها الراهب الويزي리 Asser كاتب سيرة الملك الفريد العظيم *Life of King Alfred the Great* (٨٧١ - ٩٠٩ م) ، أوردها وفي كتاباته بعد مائة عام من وفاة الملك أوفاً ، ما عرفنا شيئاً أليته عن بناء أوفاً لهذا السور العظيم ، قال Asser : « لقد أقام الملك أوفاً سوراً عظيماً Vallum Magnum من البحر إلى البحر فيما بين بريطانيا (يعنى ويلز) ومرسيا » (١) . هذا ، ولقد احتار المؤرخون كدأبهم وعجزوا أمام « شخصية أوفاً الغامضة » عن تبرير أسباب بناء أوفاً لهذا السور الضخم ، الذي يؤكد عظمة وقوه هذا الملك واهتمامه بالعمان والبناء من جانب ، ومن جانب آخر يؤكد مدى الرفاهية والثروة التي تتمتع بها الشعب الانجليزي في عصره . وأخيراً ، وبعد طول حيرة وعجز ، اتفق على أنه قد أقيمت نتيجة اتفاق سلام ، ليكون بمثابة عالمة توضح

(١) يلاحظ أن الراهب أسر هو أيضاً رغم مكانته العلمية والدينية ، لم يشير أليته إلى أسباب بناء السور ، ولعل السبب في ذلك أوامر البابوية الصارمة بعدم الاشارة من قريب أو بعيد لإنجازات الملك أوفا ، مما يؤكد ما وصلنا إليه من اراء حول أسباب البناء الحقيقة كما سنذكرها في حينه . انظر :
Asser, *Life of King Alfred*, ed. W. H., Stevenson,
Oxford 1904, 14, p. 12; Roger de Hoveden, I, p. 19
& n. 64; cf. also: Sh. Camb. Med. Hist., 1, p. 387.

ملامح الحدود المتفق عليها فيما بين مرسيا الانجليزية وويلز البريطانية • واعتمد القائلون بهذا الرأي على الفتحات ولا أقول الأبواب — العديدة التي كانت تتخالله (٢) •

هذا ، ويبلغ طول السور مائتين وواحدا وأربعين كيلو مترا تقريبا ، ولقد تم اكتشاف حوالي مائة وتسعة وعشرين كيلو مترا منه أفادت في تحديد ملامحه الحقيقية إلى حد بعيد • وهو عبارة عن خندق عمقه ستة أقدام ، أي حوالي مترين يوجد في الناحية الغربية المطلة على ويلز ، وأعلاه من جهة الشرق (أي من جهة مرسيا) يوجد سور ارتفاعه خمسة وعشرون قدماً أي حوالي ثمانية أمتار • ومن ثم فإن الذي يريد عبور السور من ناحية الغرب إلى الشرق ، عليه أن يتسلق ويتخطى حوالي ستة وخمسين قدماً أي سبعة عشر مترا تقريبا وهي تمثل عمق الخندق وارتفاع السور من كلا الجانبين (٣) ويمتد السور من شرقى مصب نهر وادي Wyre جنوبًا بالقرب

Wormald, p. The Anglo - Saxon, ed. J. Cambell, (٢)
Phaidon Press, 1980, Chapter V, «The Age of OFFA &
Alcuin», p. 119.

(٣) بدأت أولى مراحل دراسة هذا السور عام ١٩٢٠ ب بواسطة سيرسيرييل فوكس Sir Cyril Fox وأستمرت الدراسات حتى عام ١٩٣١ ، بعدها ازداد اهتمام الآثريين بدراسة السور ، خاصة بعد أن نشر فوكس أبحاثه عام ١٩٥٥م ، ووفق على تقريره في هذا الشأن . الا أن جامعة مانشستر أجرت أبحاثاً أخرى على

من قنطرة سولرز Sollers ، متوجهاً شمالاً عبر مناطق جبلية بلغ ارتفاعها في بعض المناطق ألفاً وأربعين مائة قدم عن سطح البحر تقريباً، حيث يتلاشى البناء ، وبعدها يظهر السور من جديد بالقرب من فلانتشير Flintshire ، متوجهاً نحو الشمال حيث ينتهي عند باسينجورك Basingwerk على نهر دي Dee ، مكوناً ما يشبه السد المنبع فيما بين حدود ويلز ومرسيا (٤) .

هذا ، من السرد السابق لأهم سمات أوفياً ذي الخندق ينتفي الأخذ بالرأي القائل ببنائه طبقاً لاتفاق سلام بين مرسيا وويلز ، بدليل وجود عدد من الفتحات في السور (٥) . اذ ان الوصف التفصيلي السابق للسور يؤكد أنه بني من أجل منع أهالي ويلز من عبوره كلية ، أو على الأقل تعوييقهم لحين قدوم القوات الانجليزية لواجهتهم وطردهم ، وبالأحرى بني السور من أجل أغراض عسكرية

— ٢ —

السور عام ١٩٧٢م ، وبناء عليها رفضت تقرير فوكس ، وازداد الأمر تعقيداً . ولقد تلخص تقرير الجامعة في أن البناء قد تم من أجل توطيد العلاقات الإسلامية بين مرسيا وويلز . لكن الرأي مردود لأسباب ستدكرها في حينها عند مناقشة كافة التبريرات التي قيلت في صدد بناء السور . في هذا الشأن ، وللمزيد عن أبعاد السور وطبوغرافية البلاد التي يمر بها انظر :

Wormald, op. cit., pp. 120 - 121; Stenton, op. cit., pp. 212 - 215; A. A. E., p. 353; O. C. L., p. 265. cf. also: Moinddin, M., «Did OFFA Accept the Faith of Islam», ed. Ta Ha Publishers, London (N. D.), p. 2.

وليس سلمية كما قيل . وللأسف لا توجد أدلة قاطعة تحدد تاريخ البناء من جهة ، ومن جهة أخرى لا توجد أي إشارة من قريب أو بعيد توضح الأسباب التي حدث بالملك أوفاً إلى بناء هذا السور ، مما أوقع المؤرخين في حيرة ، وأدى إلى تضارب وتعدد مقولاتهم حول أسباب البناء .

لاغر أن أسباب البناء قد بلغت حداً من الخطورة لدرجة تصميم الملك أوفاً على بنائه رغم تكاليفه المالية الباهظة ، فضلاً عن العرق والدم والجهود التي بذلت من أجل اتمامه . وتأكد الشواهد التاريخية على ضوء ما جاء بالمصادر أن البناء قد تم أثناء فترات السلم التي سادت علاقات أوفاً بالبريطانيين في ويزل ، أي على امتداد السنوات الممتدة من عام ٧٨٤ م حتى عام ٧٩٦ م . اذ لا يعقل أن يكون البناء قد تم ابان فترات العداء المستحکمة فيما بينهم ، ومن ثم ينتفي القول باقمة السور نتيجة اتفاق سلام تم بين الطرفين كما ذكرنا آنفاً . وآية ذلك أن جولييات ويزل قد أشارت إلى حدوث معركة فيما بين ويزل والملك أوفاً بالقرب من بلدة هيرفورد Hereford عام ٧٦٠ م ، دون أن تذكر تلك المصادر النتائج التي تمخضت عن المعركة من جهة ، كما أوردت نفس المصادر رواية أخرى تؤكد اكتساح الانجليز بلدة دايفيد Dyfed عام ٧٧٨ م بقيادة

Stenton, op. cit., pp. 214 - 215, Wormald, op. cit., p. 119.
Wormald, op. cit., p. 119.

(٤)

(٥)

الملك أوفاً من جهة أخرى ، وكذلك أشارت نفس المصادر إلى مهاجمة أوفا « منطقة ما في ويلز عام ٧٨٤م » من جهة ثلاثة (١) . أما فترة السنوات الساقطة في منتصف المدة المتقدة بين عام ٧٦٠ وعام ٧٨٤م ، فقد كان أوفاً مشغولاً فيها بحربه التوسعية من أجل توحيد الأمة الانجليزية كما أسلفنا ، مما يصعب معه القول باتمام البناء أثناء تلك الفترة ، لأنشغاله بتلك الحروب من ناحية واعتماداً على عدم ورود ما يؤكّد نشوب معارك بين الطرفين في الحوليات الويلزية من ناحية أخرى ، فضلاً عن أن نفس المصادر قد أشارت إلى قيام أوفاً بمهاجمة « دايفيد للمرة الثانية عام ٧٩٦م » قبل وفاته بقليل من ناحية ثلاثة (٢) .

والخلاصة ، وبناء على ما جاء في الحوليات الويلزية ، يمكن القول بلا تحفظ بأن الملك أوفاً قد قام ببناء هذا سور في فترة السلم التي سادت علاقاته مع ويلز ، أي على امتداد السنوات المتقدة من عام ٧٨٤م حتى عام ٧٩٦م .

هذا ، والى جانب الرأى القائل ببناء أوفا للسور نتيجة اتفاق سلام بينه وبين ويلز ، والذي أوضحنا خطأه من قبل ، توجد آراء أخرى لمجموعة من المؤرخين مخالفة تماماً لهذا الرأى فهناك من يقول

Stenton, op. cit., pp. 214 - 215.

(٦)

Stenton, op. cit., p. 215.

(٧)

بأن السور قد بني « من أجل حماية مرسيا من أخطار غزوات أهالى ويلز » ^(٨) ، ورأى آخر يرجح بأنه بني « كاجراء وقائي ضد اغارات السوائم أو الرعاع ! » ^(٩) .

هذا ، وبمناقشة الرأى الأول ، يلاحظ أن أصحابه لم يعضدوه بالمصادر التى تؤكده ، ولكننا على ضوء ما سبق ذكره عن أهم سمات العلاقات بين أوفاً وبقية الملك الأنجلوسаксونية وأهالى ويلز ، اتضح لنا أن المصادر الويلزية لم تشر لأى هجوم قام به الويلزيون ^{Welsh} ضد مرسيا على امتداد عصر الملك أوفاً (٧٥٧ - ٧٩٦) ، بينما نفس المصادر — وكما بيّنا من قبل — قد أشارت إلى هجمات أوفاً على ويلز أى أن الأخطار كانت تند دوماً من قبل مرسيا ضد ويلز وليس العكس ، من ثم فان هذا الرأى مرفوض وغير مقبول .
هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، يمكن تبرير البناء على أساس أنه تم لدرء احتمالات أخطار يننتظر قدومها عبر حدود ويلز بتحريض وتخطيط البابوية ، وأعني بذلك القول باحتمال وجود اتفاق عقد بين البابوية وويلز كما أسلفنا حين أشرنا إلى اتفاق البابوية مع أثيلبرهت ملك أىست أنجليا ، مؤداه سماح ويلز لندوبى البابوية

(٨) انظر :

Stenton, op. cit., p. 213f.; Cyrill, op. cit., p. 56; A.E., vol. 14, p. 353; O. C. E. L., p. 562; D. U., p. 1383.

Sh. Camb Med. Hist., 1, p. 180.

(٩)

بدخول مرسيا خلسة عبر ويلز لاعادة التبنيير بالمسحية ، واثارة النفوس ضد أوفاً للثورة عليه واسقاطه، فضلا عن مهاجمة ويلز لمرسيا في نفس الوقت الذي يقوم فيه ايتلبرهت صاحب ايسنست انجلينا بالهجوم وحصر أوفاً من الشرق والغرب للقضاء عليه ، بسبب أعماله التي هددت العقيدة المسيحية واضطربت البابوية لارسال بعثة عام ٧٨٦م « لاعادة تجديد العقيدة وتبنيتها في النفوس » كما أشرنا من قبل (١٠)، ولكن يبدو أن الويلزيين قد رفضوا فكرة الهجوم لاقتناعهم باستحالة هزيمة أوفاً لضعف قوامهم قياسا إلى « قوة الملك أوفا الرهيبة » (١١)، حسبما وصفها شارل مان، يؤيد ذلك الرأي عدم اشارة المصادر الويلزية لأى هجوم ضد مرسيا كما أسلفنا ، في نفس الوقت الذي سمع فيه الويلزيون لأعون البابوية بالعبور الى مرسيا للدعائية المغرضة ضد أوفاً ، وتسفيهه أفكاره ومعتقداته الجديد ، فكان أن قام الملك أوفاً بالمشروع في بناء هذا السور لتعويق عبور مؤلاء الأعون ، يؤيد ذلك الرأي تلك الهجمات المتقطعة التي تناولت يقوم بها أوفاً من حين آخر ضد مدن ويلز ، اذا شعر بخطورة أعون البابوية ، وذلك كجزء من اندثار منه لأهالي ويلز وتحذيرهم بعدم السماح لأعون البابوية بالعبور الى مرسيا أو حمايتها في ويلز . وهكذا ، وعلى ضوء ما سبق

(١٠) انظر ما سبق ٧٧ - ٨٥ من الفصل الاول .
Stenton, op. cit., p. 95.

(١١)

نقول بلا تحفظ باستحالة قبول الرأى القائل بإقامة السور « من أجل حماية مرسيا من أخطار غزوات أهالى ويلز ، » كما ذكرت بعض المراجع المعنية .

أما الرأى الآخر القائل ببناء السور « كاجراء وقائي ضد اغارات السوائم أو الرعاع » فهو رأى غريب ومفوض جملة وتفصيلاً .
إذ ان أي إنسان متوسط الذكاء ، لا يمكنه قبول مثل هذا التبرير الذى يرفضه العقل والواقع ، فهل يعقل أن ملكاً مثل أوفاً الذى شهدت كافة المصادر والمراجع بفطنته وكياسته ، يقوم ببناء مثل هذا السور الذى كلفه أموالاً لا حصر لها ، من أجل حماية بلاده من اغارات الأنعام أو السفلة ! وماهى أخطار تلك السوائم أو الرعاع ؟ هل الاجهاز على الحشائش الخضراء أونهبها وسلبها من مرسيا ؟ !!
أم أنها سوائم عسكرية مسلحة تقودها جماعات من الرعاع الرجالية والفرسان ؟ ! . ان أي باحث منصف ومدقق لا يمكن إلا أن يرفضن هذا الرأى شكلاً و موضوعاً ، ومن ثم فإن عليه أن يأخذ بالتقسيير المنطقى الذى وصلنا اليه ، ألا وهو القول ببناء أوفاً لهذا السور لمنع مندوبي البابوية من دخول مرسيا للتحريض على الثورة ضد و بذلك تطبيقاً للاتفاق الذى تم بين البابوية وأهالى ويلز لهاجمه و الخلاص منه ومن أفكاره المعادية للكنيسة الرومانية إلى الأبد كما أسلفنا .

وأخيراً ثمة ملاحظة هامة ينبغي الاشارة اليها ،
اذ أن من الغريب والملاحظ ان كافة المصادر
والوثائق لم تشر من قريب أو بعيد الى كيفية أو أسباب موت الملك
أوفاً المفاجيء وهو في قمة مجده ونفوذه يوم الجمعة ٢٩ يوليو
٧٩٦ / ١٧ جماد أول ١٨٠هـ ، اذا اكتفت الحوليات الأنجلوسaxonية
بالإشارة في عبارة مقتضبة الى « موت أوفاً فجأة في عام
٧٩٦ » ^(١)

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، يلاحظ أن الملك أوفاً دون
غيره من الملوك الانجليز قد أهملت كافة المصادر والوثائق الاشارة
إلى مكان دفنه ، والذي كان من المفروض أن يكون – إن لم يكن قد
اعتنق الاسلام بالفعل – داخل كاتدرائية أو كنيسة العاصمة الكبرى .
ولكن الغريب وحسبما ذكرت المصادر المتأخرة زمنياً أن الملك أوفاً

(١) اختلفت الحوليات في تحديد تاريخ الوفاة : « حولية باركر » قالت
في عام ٧٩٦ ، « وحولية لود » قالت يوم ١٠ أغسطس ٧٩٦ م ،
اما حولية رقم ^{Ch} التي نشرتها وايتلوك في مجموعة الوثائق
الانجليزية ، ج ١ ، حدهقه يوم ٢٩ يوليو ٧٩٦ وهو التاريخ الذي
اختنا به عليه . ويلاحظ أن المؤرخ ستنتون قد ذكر التاريخ خطأ
وحده يوم ٢٦ يوليو ٧٩٦ دون ذكر المصدر الذي أخذ عنه . انظر المصادر
والمراجع الآتية :

The Laud Chronicle, p. 57 & n. 6.; the Parker Chronicle,
p. 56. The Anglo - Saxon Chronicle, cf. E.H.D., vol. I,
pp. 181 & n. 11, 182; cf. also: Roger de Hoveden, 1, p.
30; Roger of Wendover, 1, pp. 166 - 167; Matthew of
Westminster, 1, pp. 382 - 383; Simeon of Durham, cf.
E. H. D., vol. I, p. 274; cf. also: Stenton, op. cit., p. 224.

عندما توفي ، تم نقله الى بلدة صغيرة حيث دفن في مصلى صغير داخل مبنى متداع ، على حافة نهر مشهور بتiarاته وفيضاناته الجارفة ، كما لو كان الذين دفونه قد خططوا واختاروا هذا المكان عن عمد ، على أمل أن تجرف الفيضانات المبني بمن فيه ، فيزول كل أثر للملك أوفا ، حتى يصبح نسيا منسيا ، وهذا ما تم بالفعل ومن ثم يتتأكد لنا صحة ما وصلنا اليه بصدق ترجح الملك أوفا
الاسلام .

لقد وأشارت المصادر (٢) الى أن الروايات المتواترة على السنة الأهلية ، نacula عن أجدادهم وأسلافهم المعاصرين للملك أوفا تفيد أنه قدمات «عام ٧٩٦ م في بلدة أوفلي Offley (٣) ، ثم نقل جسده الى بلدة بيدفورد Bedford الصغيرة (٤) ، حيث قبر في داخل مصلى صغير كائن بمبني مجهول يقع خارج البلدة على الحافة المباشرة لنهر الأوسك the Usk (٥) . وهكذا أفادت وأكدت تلك الرواية الغامضة دفن

Roger of Wendover, 1, pp. 166 - 167; also: Matthew of Westminster, 1, pp. 382 - 383. (٢)

(٣) لم أجد لها تعريفا في أي من المصادر أو المراجع المعنية . ولعلها كانت بلدة قديمة أقامها أوفا ، وعرفت بهذا الاسم نسبة إليه ، ثم اندثرت على مر السنين ، أو لعل البابوية ورجال الكنيسة قد طمسوا معالمها وغيروا اسمها باخر ، حتى يزول كل أثر للملك أوفا قد يذكره الناس به .

(٤) بلدة صغيرة تقع في مقاطعة بيدفورد Bedfordshire على بعد P. E. P., p. 85. خمسة وأربعين ميلا شمال غرب لندن . انظر :

(٥) يقع في مقاطعة بيدفورد ، ويعرف اليوم باسم نهر أويس Ouse P. E. P., op. cit., loc. cit. انظر :

وأيضا انظر حاشية رقم (٢) عاليه .

الملك أوفاً بهذه الطريقة المشبوهة ، في مثل تلك الblade الصغيره ، داخل هذا المكان المجهول ، وليس داخل الكنيسه التبرى بالعاصمه ، مما يرجح اعتقاد هذا الملك العظيم للإسلام ، فخانت المحصلة مهاربته وأثارة النفوس ضده للخلاص منه في الدنيا . ثم دفنه بعد وفاته بهذه الطريقة المشينة ، انتقاما منه حتى يزول هو وعتيده الجديدة . فتنسأ الأجيال المتعاقبة على مر السنين خشية أن يكون متلازماً يختفى . فيكون الدمار للكنيسة الانجليزية هو المحصلة الوحيدة لدثرى هذا الرجل .

هذا ، وقد أشار نفس المصدر الى أن المقبرة تد أحبابها التندفع وأتلفها النسوس حتى انهارت مع المبنى وغارت شى أعماق النهر ، بفعل الفيضانات المدمرة على مر السنين ، « فكان أن بذلك جسود مضنية من أجل اكتشاف مكان المقبرة ، واحراج بثة الملك أوفا ، ولكن الأقدار أبت أن تكمل تلك الجمود بالنجاح » (١) .

Roger of Wendover, 1, p. 166f.; Maithew of Westminster, (١) 1, p. 383.

جدير بالذكر على سبيل المثال لا الحصر أن الملك ايثيلبرت ملك كنت عند وفاته عام ٦٦٦م ، دفن مع زوجته برثا Bertha في كنيسة القديس بطرس في كانتربيوري تكريماً لها لنشرهما المسيحية في مملكته ومساعته للقديس أوجسطين في نشرها عند وصوله عام ٥٩٧م كما أسلفنا . وبالمثل دفن كيولريد Ceolred ملك مرسيا عام ٧١٩ في كنيسة العاصمة ليتشفييلد Lichefield كذلك كان الحال بالنسبة للملك ولهمير ملك مرسيا (ت ٦٧٤م) . مما يؤكّد ما وصلنا اليه عن تعمد البابوية دفن أوفا بهذه الطريقة المهيئه بسبب اعتقاده للإسلام . عن تكريم هؤلاء الملوك ، فضلاً

=

من الأهمية بمكان التوقف ها هنا لحظة لمناقشة عبارة روجرأوف وندوفور الأخيرة تلك ، لأهميتها فيما نحن بصدده من كشف حقيقة اعتناق الملك أوفاً للإسلام . فما لاحظ أن روجرأوف وندوفور (ت ٦ مايو ١٢٣٧ م) كان معاصرًا للملك هنا (جون) John (ت ٦ مايو ١١٩٩ م – ١٢١٦ م) ، وصاحب العهد الأعظم ملك إنجلترا (الماجنا كارتا Magna Carta المشهور) ، وهو الذي أصدر أوامره بالبحث عن مقبرة الملك أوفاً ، وباعت جهوده بالفشل كما ذكرنا من قبل نقاً عن روجرأوف وندوفور . وهنا نتساءل لماذا أصدر الملك هنا قراره بالبحث عن مقبرة الملك أوفاً ؟

الراجح أن الملك هنا كان معجباً بشدة بشخصية الملك أوفاً ، ولعله قد احيط علماً بالكثير من أسرار سيرته بعامة و موقفه من الإسلام بطريقة أو بأخرى من كبار رجال القصر وأفراد أسرته وغيرهم من رجال الكنيسة الانجليزية المنصفين بصفة خاصة . فكان أن أعجب به واتخذه مثلاً يحتذى ، ومن ثم أصدر قراره السابق الذكر بالبحث عن مقبرته كما أفادنا شاهد العيان روجر ، لتكريمه ودفنه في المكان اللائق به . ولا شك أن البابوية قد هالها قيام

=

عن غيرهم انظر :

Bede, op. cit. pp. 107, 108, 135, 182, 185, 334; Roger of Wendover, 1, p. 103; The Laud Chronicle, (E.), pp. 23, 35; The Parker Chronicle, (A.), pp. 22, 34.

جون بهذا العمل الذي اعتبرته معادياً للكنيسة الكاثوليكية ، وخشيت من أن ينقلب اعجاب جون بالملك أوفاً إلى اتخاذه نفس الطريق واعتقاده الإسلام مثله ، ويبدو أن البابوية قد طالبت جون بالكف عن البحث عن مقبرة أوفاً ، ورفع يده عن رجال الكنيسة الإنجليزية ، وعدم تدخله في شؤونهم بالعزل والتعيين ، وهدّدته بالحرمان والعزل . فلم يعر هنا تهديدات البابوية اهتماماً ، وأقسم على طرد كافر رجال الدين الكاثوليك من إنجلترا ، وجعل أنوفهم ومصادرتهم أملاكهم ، بل وكما يبدو قد هدد البابوية باعتناق الإسلام مثلما فعل الملك أوفاً . وهنا تميّز البابا من العين ، وأصدر قراراً بالفعل بحرمان هنا عام ١٢٠٨ م . فكانت ردود فعل هنا عنيفة . إذ أصدر قرارات تتلخص في مصادرات أملاك الكنيسة والأديرة ، وحبس كبار رجال الدين ، بل ويبدو أنه قد ترسم خطى الملك أوفاً فاعتنق الإسلام ثم طلب المعونة العسكرية من الموحدين بالأندلس لتعضيده ضد البابوية وأعوانها ، فطار لم البابا أنوسنت الثالث (١١٩٨ - ١٢١٦ م) وخشى مغبة ذلك العمل ، فأصدر قراراً جديداً بالحرمان ضد هنا عام ١٢١٣ م كما قرر عزله ، وطالب الشعب الإنجليزي بمحاربته وانتراع كافة أملاكه ومصادرتها غنيمة له ^(٧) .

(٧) اشار ديورانت بتفصيل واف الى الصراع فيما بين هنا والبابا انوسنت الثالث ، وأفاض في تفسير أسبابه واتهام البابوية له بالكفر . انظر : ديورانت (ول) : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران حافظ ، طبعة جامعة الدول العربية ، ج ٤ ، المجلد الرابع ، ص ١٩٣ - ٢٠٢ .

يؤيد ذلك الرأى روایة خطيرة الفحوى أوردها المؤرخ المعاصر روجر أوف وندوفور صديق الملك هنا المقرب اليه وكانت أسراره فى حولياته ^(٨) ، فلقد أشار الى أن الملك هنا قد أرسل سفارة سرية الى أمير المؤمنين الخليفة الموحدى محمد الناصر لدين الله (٢٢ ربىع الأول ٥٩٥ - ٤ شعبان ٥٦١٠ / ٢٢ يناير ١١٩٩ - ١٩ ديسمبر ١٢١٣م) في عام ١٢١٢م / ٦٠٨ - ٥٦٠٩ ، برئاسة كل من الفارسيين توماس هاردنجتون Thomas Hardington ورالف فيتزنيقولاس Ralphe Fitz Nicholas ، فضلا عن أحد كبار رجال الدين المقربين اليه ، المدعو روبرت أوف لندن Robert of London ، حيث عرضوا على الخليفة مطالب الملك هنا من خلال الرسالة التي سلموها اياه من لدنه وتتلخص في اعلان رغبة هنا الملة في « اعتناقه اياه من لدنه وتنحيه في اعلان رغبة هنا الملة في « اعتناقه

(٨) بعد وفاة الملك هنا عام ١٢١٦م ، خلع روجر من منصبه ، بسبب اسرافه الشديد وتبديده اموال الديار كما يقولون ، دون توضيح المقصود بالاسراف أو التجديد ! والسبب كما يبدو الى درجة اليقين ، صداقته الوطيدة بالملك هنا ، ومجاراته وتأييده اياه في كافة قراراته التي اعتبرتها البابوية والكنيسة خارجة عن الايمان وضد صالح الكنيسة . يؤيد ذلك الرأى أن قرار الاقصاء تم عقب موت الملك هنا مباشرة وتولية هنري الثالث Henry III (١٢١٦ - ١٢٧٢م) ومن ثم فان عزله نتيجة هذه الصداقه أمر مفروغ منه كما أنه يؤكذ ما وصلنا اليه بصدق ترجيح اعتناق أوفا الاسلام ومحاولة هنا نهج نفس النهج ، فكان أن أتتهم بالكفر واللحاد والخروج عن الايمان الصحيح . في هذا الصدد وللمزيد عن روجر انظر : حاشية رقم ٢٥ ص ٤٥ ما سبق .

الاسلام هو وشعبه ، والحق انجلترا بدولة الموحدين » (٩) « ولاشك أن تلك الرواية الخطيرة الفحوى لاتؤكد مدى صحة ماوصلنا اليه بخصوص ترجيح اعتناق الملك أوفتا الاسلام بدليل اخفاء البابوية مكان دفنه وطمس معالم تاريخه ، ومحاولات هنا كشف مكان الدفن لاحياء ذكراه فحسب ، بل تؤكد أيضا اعجاب الملك هنا الشديد بالملك أوفتا ، وترسمه خطاه ومحاولته هو أيضا اعتناق الاسلام، وتلك قضية أخرى لا زالت في حاجة الى المزيد من الابحاث والدراسات المتأنية والمستفيضة .

(٩) عن تلك السفاراة ونتائجها انظر :
Roger of Wendover, II, pp. 283 - 286. cf. also :

فيليبيبيب خوري : تاريخ العرب (الدولة العباسية - العرب في أوروبا : إسبانيا وصقلية ، آخر الدول الاسلامية في العصور الوسطى) ، ترجمة وتعليق محمد مبروك نافع ، المجلد الثاني ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٤٩م ، حاشية رقم ٥٦ ص ٧١٢ . وجدير بالذكر أن المصادر قد ذكرت رفض الخليفة الموحدى عرض هنا باعتناق الاسلام ، الا أن الشواهد تؤكد غير ذلك خاصة وان الخليفة له دوره الكبير في الجهاد ضد صليبيي إسبانيا ، ومن ثم ينتفي القول بالرفض . ولكن السبب كما يبدو كان تأجيل العرض لحين انتهاء الخليفة من هزيمة اعدائه الاسبان في المعركة المرتقبة ، الا أن هزيمة الخليفة الغير متوقعة في موقعة العقاب Las Navas de Tolosa (١٥ صفر ١٢١٣ / ١٧ يوليو ١٢١٢م) ، ثم موته كمدا وحزنا فيما بعد =

مهما يكن من أمر ، وعلى ضوء ما سبق ، لعلنا نكون قد أكدنا ما وصلنا إليه بشأن ترجيح اعتناق الملك أوفاً الإسلام، ومن ثم، قيامه بالمحاولة الأولى من نوعها في تاريخ أوروبا الوسيط باعلان الإسلام دينا رسميا له ولشعبه . وقد يقول البعض أن الدينار ليس دجة، تؤكد اعلانه الإسلام دينا جديدا له ، ولأسرته وكبار رجاله ، ان لم يكن

=

الذى لو حدث لتغيرت خريطة إنجلترا . يؤيد ذلك الرأى ما ذكرته المصادر عن غضب البابا ، وأصدراته قرارى حرمان وعزل ضد الملك هنا عام ١٢١٣ ، ومطالبة النبلاء والشعب بمحاربته وعزله واغتصاب أملاكه كما ذكرنا عاليه . ويبدو أن هزيمة الخليفة فى العقاب قد أصابت هنا بالاحباط ، فهادن البابوية خاصة بعد مهاجمة فيليب أغسطس ملك فرنسا له ، وهزيمته عام ١٢١٥ ثم عودته لمواجهة خطر النبلاء الذين ثاروا ضده بتحريض البابوية ، وأجبروه على أصدر الماجناكارتا عام ١٢١٥ ، وظل هنا يتربص الفرصة للثأر من أعدائه والغاء الماجناكارتا لكن موته المفاجىء عام ١٢١٦ حال دون تحقيق ما انتواه ، وبموته ماتت المحاولة الثانية من نوعها في إنجلترا - بعد محاولة أوفا - لاعتناق ملك إنجلترا للإسلام . في هذا الصدد وللمزيد عن علاقات هنا بكل من البابوية والنبلاء الانجليز ، وظروف Roger of Wendover, II, pp. 179 - 182, 187, 193, 194, 201 - 208, 217, 239 - 251, 254 - 70, 273 - 87, 288 ff.; E. H. D., vol. 3, p. 327ff. cf. also:

ديورانت : قصة الحضارة المجلد الرابع ، ص ١٩٣ - ٢٠٢ ، وللمزيد عن محاولة هنا اعتناق الإسلام ، انظر : صفاء خلوصى : محاولة الملك جون صاحب (الماجناكارتا) اعلن الإسلام دينار سميأ ببريطانيا فى القرن الثالث عشر ، حيث أذيع فى ١٨/١/١٩٧٩ م ، انظر : نشرة البرامج العربية لهيئة الاذاعة البريطانية العدد رقم ٣٦٧ ، السنة العشرون ، القاهرة ، مايو ١٩٧٩ م ، صفحة أصحاب

له ولأسرته ولشعبه كل ، على أساس أن هناك سوابق عديدة قلد فيها الأمراء الصليبيون ، وغيرهم من ملوك أوروبا الغربية الدنانيين الإسلامية . الا أن هذا الرأي سبق وأكدنا عدم صحته ، عند مناقشة الرأى القائل بأن أوفاً قد سك عملته تلك لتقديم المنحة السنوية المقررة عليه تجاه الكنيسة الرومانية ^(١٠) . وسواء آتاك اعتناق أوافقاً الاسلام محصلة طبيعية لرغبة ذاتية جامحة ، او حالة نفسية هيمنت عليه ، ودفعته لاعتนาقه بجهود التجار الدعاة المسلمين الذين قدموا للتجارة في بريطانيا من جهة ، او كان نتيجة جهود أعضاء السفارات والبعثات الرسمية السياسية والتجارية ، المتبادلة فيما بينه وبين الخليفة العباسية من جهة أخرى ، فمما لا شك فيه أن الدينار الاسلامي الذي ضربه أوفاً ، يعتبر في حد ذاته دليلاً يؤكد ما وصلنا اليه في هذا الصدد . اذ انه يعتبر وثيقه هامة لها تقلها في تأكيد تبريرنا لأسباب اصداره ، على ضوء ما سبق سردنا من تفصيات أحداث عصر الملك أوفاً ، وجهوده وانجازاته المتعددة في شقى الميادين . ولعلنا نجد في اختلاف المؤرخين في تبرير ضرب هذا الدينار ما يؤيد صحة ما وصلنا اليه في هذا الشأن أيضاً ، ويضيف اليه جديداً . اذ أن حيرة المؤرخين ، وتناقض آرائهم يؤكد أنهم رغم عدم قولهم صراحة باعتناق أوافقاً الاسلام، يؤمنون في قراره أنفسهم بامكانية صحة هذا الاحتمال لدرجة كبيرة .

(١٠) انظر ما سبق ص ١١٤ - ١٢٠ والحوالى من الفصل الثاني .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

« بل تزلف بالحق على الباطل ، فيديمه فما زاها هو زاهق ،
ولكم الويل مما تصفون »

الأنبياء : ١٨

اکنٹامہ

— ١٥٥ —

- الجديد في الموضوع ، وأهم الأفكار والنتائج التي أمكن
التوصل إليها •
- أهم الآراء والمشاكل التي تم بحثها •

الحمد لله فاتحة كل خير ، وتمام كل فضل ، وبعد .

فقد أوضحنا في الفصول السابقة أن تاريخ مملكة مرسيا السياسي والاقتصادي ، وأحرازها قصب السبق في مضمار زعامة الأنجلوساكسون ونهضتهم من جهة ، وبناء صرح وحدتهم كأمة واحدة (الأمة الانجليزية) لأول مرة في التاريخ من جهة أخرى ، قد ارتبطا بقوة بتاريخ عصر أوفرًا «ملك مرسيا العظيم» ، و«ملك إنجلترا» ، و«ملك كل بلاد الانجليز» حسبما عرفته المصادر والوثائق .

فلقد غدت مملكة مرسيا منذ بداية عام ٧٦٤ ، وحتى وفاة الملك أوفرًا عام ٧٩٦ ، قوة عسكرية واقتصادية جبارة ، عمل لها كل من شارلمان والبابوية ألف حساب . ولقد بيّننا كيف سخر أوفرًا إمكانات مرسيا المادية والبشرية من أجل توحيد الأنجلوساكسون في أمة واحدة ، وهي التي اصطلح مؤرخو العصور الوسطى على تعريفها بالأمة الانجليزية .لذا ، كان من المحتم حصول احتكاكات وحروب طاحنة بين مرسيا من جانب ، وبين الملك الأنجلوساكسوني الأخرى من جانب آخر ، وذلك كمحصلة طبيعية لمسار الأحداث .
إذ ان كل ملك من الملوك الأنجلوساكسون كانت له أهدافه وتطلعاته لتبوأ مكان الصدارة وزعامة الأنجلوساكسون ، ومن ثم كان لابد أن تتلحم هذه الأهداف مع مثيلاتها لدى أوفرًا أحياناً ، وأحياناً أخرى تناقضت وتباعدت . لذا ، فان فترات العداء والسلام التي سادت علاقات أوفرًا بغيره من ملوك الأنجلوساكسون كانت نتيجة حتمية للظروف الموضوعية المحيطة بمسرح الأحداث آنذاك .

وغمى عن القول أنه قد واجهتنا أثناء اعداد هذا البحث العديد من المشاكل والقضايا الهامة التي مست الموضوع مساً مباشراً ، ولقد توصلنا والله الحمد والمنة إلى العديد من الاستجابات الهامة ، استطعنا بها أن نسد الكثير من فجوات البحث بعد تدعيمها بالحجج والأسانيد من جهة ، ومن جهة أخرى ، حصلنا على أجابات واضحة محددة للكثير من التساؤلات التي طرحت علينا على امتداد البحث .

ومن أهم القضايا التي تصدّينا لها تطور نهضة مملكة مرسيليا سياسياً واقتصادياً بفضل جهود الملك أوفاً، ومدى ارتباط تقدمها هذا بشخصيته القوية، ومدى قدرته على تسخير كافة ملكاته وذكائه الفطري للوصول بمرسيلا إلى مكان الصدارة والسيطرة على كافة ممالك الأنجلوساكسون، ولقد نجح أوفا في هذا الصدد أيمّا نجاحاً.

وبالمثل توصلنا الى فكرة هزيمة الملك أوفاً في موقعة أوتفورد وانتصار كنت عليه عام 774م ، رغم قول بعض المؤرخين المعنين بانتصاره الحاسم فيها ، وأيدنا رأينا هذا بما جاء في بعض الوثائق والمصادر المعاصرة . كذلك أثبتنا نجاح دبلوماسية أوفاً في ضم بعض الملك الأنجلوسaxonية داخل نطاق اتحاده الكونفيدرالي عن طريق تزويع بناته من ملوكها ، ضماناً لعدم انسلافهم عن الاتحاد الذي تترعنه بنفسه .

ومن أهم القضايا التي واجهتنا ، وتناولناها بالمناقشة الموضوعية والدراسة التحليلية أسباب مصرع الملك إيثيلبرهت ملك إنجلترا عام ٧٩٤ ٠ ولقد أكدنا على ضوء الشواهد التاريخية ، فضلاً عن

المعلومات والروايات التي اعتصرناها من المصادر ، أن مصرعه كان مردّه تآمره مع البابوية وويلز لحصر أوفاً بين فكي كماشة ، والانقضاض عليه من الشرق والغرب ، للتخلاص منه بعد هزيمته . هذا ، ولقد رجحنا سبب هذا التآمر بفكرة اعتناق أوفاً الاسلام ، وهي الفكرة التي دعمناها بمجاءه في المصادر وتعدد في أواسط الكنيسة عن « قيام أوفاً بأعمال أدت إلى تقويض الايمان » . فكان أن اضطررت البابوية إلى ارسال بعثة ١٧٨٦ المشهورة برئاسة اثنين من كبار رجالها إلى إنجلترا « من أجل اعادة تجديد وتبثيت الايمان في النفوس » ، حسبما أجمعوا المصادر على ذلك . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، أكدنا أن البابوية قد أسبغت صفات القدسية على ايثيربرهت واعتبرته « قديسا شهيدا » رغم عدم امتلاكه حبيبات القدسية قياسا لرجل مثل شارلaman « حامي المسيحية في أوروبا الغربية » ، والذي لم تعتبره الكنيسة قديسا على سبيل المثال : كذلك ناقشنا أسباب مصرع ايثيربريد زوج ابنة أوفاً وملك نورثمبريا عام ٧٩٦ ، بتخطيط من شارلaman والبابوية ، لرغبتهم في السيطرة على المملكة ، والانطلاق عبرها للتخلاص من أوفاً وعقیدته الجديدة ، واعادة تجديد الايمان وتبثيته في نفوس أهالي مرسيا ، حسبما أكدناه على ضوء المصادر . وبالمثل تعرضنا بالدراسة التحليلية لكافة الآراء التي قيلت في صدد بناء أوفاً سورة العظيم على حدوده مع ويلز ، وتناولناها بالمناقشة العلمية الموضوعية . ولقد أثبتتنا أن هدفه الحقيقي كان تعوييق ومنع أ跫ان البابوية من عبور حدوده مع

ويلز لاثارة النفوس ، وحثها على الثورة خده تمهيدا لعزله والتخلص منه لاعتقاده الاسلام من جهة ، كما أثبتنا أن بناء السور قد تم على امتداد سنوات فترة السلم التي سادت علاقات أوفياً مع ويلز (٧٨٤ - ٧٩٦ م) من جهة أخرى .

كذلك أبرزنا أهم سمات علاقات أوفياً بكل من شارلماں والبابوية وتناولنا بالدراسة التحليلية أسباب كراهيتهما له ، وتخطيطهما معا للخلص منه ، في نفس الوقت الذي كانا يتقربان فيه إليه ويظهران له الود والاحترام ! وبالمثل تناولنا بالدراسة علاقات أوفياً التجارية مع الفرنج ، وأشارنا إلى الاتفاقية التجارية التي عقدها مع شارلماں ، والتي تعد الأولى من نوعها في تاريخ إنجلترا من جانب ، والتي أكدنا على ضوئها ، فضلاً عما أمدتنا به المصادر والمراجع من معلومات قوية علاقات أوفياً التجارية مع العباسيين وعقده معهم معاهدة مشابهة من جانب آخر .

كما تناولنا بالتفصيل والدراسة التحليلية العلمية كافة الآراء التي قيلت حول الأسباب التي حدت بالملك أوفياً إلى سك ديناره الذهبي المشهور ذي عبارات التوحيد الاسلامية ، والذي كان سكّه سبباً في ايقاع المؤرخين المعنيين في حيرة حتى يومنا هذا ، بحثاً عن تبرير مقنع لضربه . وأثبتنا على ضوئه هو وغيره من الأسانيد ، صحة الفكرة التي توصلنا إليها ، والخاصة بترجيح اعتناق أوفياً الاسلام . وجدير بالذكر أن هذه الفكرة كنا دوماً نتناولها بالدراسة ونؤكدها بالأسانيد والحجج التي أكدتها الشواهد والروايات

التاريخية على امتداد البحث كلما دعت الضرورة الى ذلك ، لما لها من أهمية ودلالات خطيرة ٠

وكذلك أشرنا الى جهود أوفاً التي بذلها من أجل رفعه شأن انجلترا ، والنهوض بها حضاريا ، بالاشارة الى أهم اصلاحاته في شقى مظاهر الحياة المالية والاقتصادية والتشريعية ، فضلا عن اهتماماته باعداد أقوى قوة عسكرية ضاربة عرفت في تلك الاونة ، والتي كان شارمان أعظم ملوك العصر يعمل لها ألف حساب ٠ وأوضحنا كيف سخر أوفاً هذه القوة من أجل حماية وحدة الأمة الانجليزية التي قضى حياته كلها مجاهدا من أجل بناء صرحها تحت زعامته من جانب ، وكفالة الأمن والأمان لشعبه ، وحماية مكاسبه السياسية والاقتصادية التي حصل عليها على امتداد عصره (٧٥٧ - ٧٩٦ م) من جانب آخر ٠

كذلك تناولنا بالاشارة والدراسة التحليلية التغييرات التي استحدثها أوفا في العملات الأنجلوساكسونية من حيث المخبر والمظهر ، والتي كان لها أثراً كبيراً في تأكيد ما وصلنا إليه بمقدد ترجيح اعتقاده الاسلام ، وأضافت إليه جديداً ، تلك التغييرات التي تلخصت – إلى جانب اصداره الدينار الذهبي النسبيق الاشاره إليه – في تلائسي علامة الصليب من عملاته تدريجياً إلى درجة الاختفاء تماماً في السنوات الأخيرة من حكمه الذي امتد قرابة تسعة وثلاثين سنة ٠

.. هذا ، والمسكوكات كما هو معروف ، لها مكانتها كوثيقة يعتد بها في كشف وسبر أغوار حقيقة تاريخ الأمم السياسي والاجتماعي والاقتصادي وعقيدتها الدينية . وهناك من المؤرخين من يشبه العملة « بالعلم الخاص بالدولة » ، أو بجواز السفر الذي تحمله في جيبك ، بحسباً لأية ظروف طارئة . فإذا ما توفى أنسان اثناء سيره بالطريق فلاشك أن جواز سفره بما فيه من بيانات وصورة ، سوف يحدد اسم حامله وعنوانه فضلاً عن هويته الدينية ^(١١) . هذا ولقد اختتم صاحب هذا الرأي عبارته بالقول باعتناق الملك أوفاً الإسلام ، مشيراً إلى أنه قد قام بعمل استفتاء بين عدد من كبار الشخصيات الانجليزية ، التي أجمعـت على اعتناق أوفاً الإسلام ، وعزـت ضياع وثائق عصره إلى الكنيسة التي تخلصـت منها خشـية كشف تلك الحقيقة الواضحة ، فقال : « ٠٠٠ وعندما سـأـلتـ الكثيرـ منـ الشخصـياتـ الانجـليـزـيةـ ، الذـكـورـ وـالـانـاثـ عـلـىـ حدـ سـوـاءـ ، أـجـمـعواـ عـلـىـ اعتـنـاقـ أـوفـاًـ لـلـاسـلامـ ، وـعـزـواـ نـدـرـةـ الـوـثـائـقـ إـلـىـ تـدـمـيرـ الـكـنـيـسـةـ الانـجـليـزـيةـ لـهـاـ ، بـسـبـبـ اـعـتـنـاقـهـ الـاسـلامـ ، وـأـدـاـ لـهـاـ وـطـمـساـ لـعـالـمـ تـارـيـخـهـ مـنـ الـبـداـيـةـ » ^(١٢) .

وبالمثل توصلنا إلى اثبات قوة التوأجد التجاري العربي في إنجلترا قبل وعلن امتداد عصر الملك أوفاً ، وخرجنا بفكرة أن الدعوة

Moinddin, op. cit., p. 1 f.

(١١)

Moinddin, op. cit., pp. 1 - 2.

(١٢)

للاسلام قد وصلت اليه عن طريق أى من التجار المسلمين أو مبعوثى الخلافة العباسية، ولقد تم ذلك بعد مناقشات حول معانى عبارات التوحيد الاسلامية المنقوشة على الدينار العباسى ، والذى ضرب أوفياً ديناره على طرازه من جانب ، وبعد حوار طويل حول طبيعة المسيح عليه السلام ومكانته وأمه العذراء البتول الصديقة مريم رضى الله عنها فى الاسلام من جانب آخر ، وبعد ذلك دعى أوفياً للاسلام ، فآمن بعد اقتناع واقتناع . وأكدنا ذلك الرأى من منطلق عاليه الاسلام ، وأن الدعوة الى الحق فرض على كل مسلم القيام به ما استطاع الى ذلك سبيلاً . وضربنا أمثلة لذلك بما جاء فى الكتاب والسنة الشريفة من آيات وأحاديث تؤكد صحة الرأى . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، ضربنا أمثلة بدور التجار المسلمين الدعاة فى نفس الوقت فى نشر الاسلام فى جزر وبلاد المحيط الهندي وجنوب شرق آسيا ، ووسط وشرق وغرب أفريقيا .

وأخيراً ، وليس بأخر ، تناولنا بالدراسة التحليلية العلمية والمناقشة الموضوعية أسباب اهمال المصادر والمراجع الاشارة من قريب أو بعيد الى أسباب موت الملك أوفياً المفاجيء عام ٧٩٦/١٨٠ هـ ، ودفنه فى بلدة مجھولة الهوية بعكس ما هو متبع من عادة دفن أقرانه الملوك فى كنيسة العاصمة الكبرى !

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أشرنا الى محاولات الملك هنا صاحب الماجناكارتا المستمته للبحث عن قبره الملك أوفياً لاحياء

ذكره وفشله في هذا الصدد . وخلصنا من هذا كله برأى هام أكدنا صحته على ضوء المصادر المعاصرة ، مؤداء اعجاب الملك هنا الشديد بأوفاً ، وترسمه خطاه بالقيام بالمحاولة الثانية من نوعها في تاريخ أوروبا — بعد محاولة أوفاً بالطبع — لاعتقاق ملك إنجليزى للإسلام وارساله سفارته المشهورة للملك الناصر محمد الموحدى ، معينا رغبته في اعتناق الإسلام ، ودخوله وشعبه وبلاد الإنجليز في زمرة الموحدين وحمايتهم . مما أغضب البابوية بشدة ، فكان ان أصدرت قراراتها بالحرمان ضد هنا ، واعتبرته خارجا عن الإيمان وكافرا ، وطالبت الشعب الإنجليزي والنبلاء بمحاربته والتخلص منه ، ومصادرة أملاكه .

ذلك هي أهم الآراء التي ناقشناها ، وأهم النتائج والأفكار والاستنتاجات التي توصلنا إليها وهكذا ، وعلى ضوء ما سبق ، تتأكد لنا صحة ما وصلنا إليه بصدق ترجيح اعتقاد الملك أوفاً الإسلام واتخاذه دينا له على الأقل ، إن لم يكن له ولأسرته ولشعبه كل ، من جهة ، ومن جهة أخرى ، تتأكد لنا بما لا يدع مجالا لبادرة شك أن أوفاً قد بلغ بشجاعته وثاقب نظره ، وكياسته حدا من المكانة والعظمة إلى درجة جبّت شارملان أعظم ملوك ذلك العصر ، وحقق بسياساته ودبلوماسيته وحدة الأمة الإنجليزية لأول مرة في تاريخها .

هذا ولقد لخص المؤرخ الإنجليزى المشهور سيرفرانك ستنتون

قدرات أوفاً ، وأبرز مكانته في التاريخ في عبارة جامعة مانعة ،
اذ قال : « ٠٠٠٠ ان أي ملك أنجلوساكسوني آخر لم يكن في
مقدوره أن ينظر إلى العالم على مدى اتساعه ، بمثل نظرة الملك أوفاً
البعيدة المدى تلك ، أو بمثل هذا الوعي والحس السياسي المرهف
الذى تفرد به دون غيره » (١٣) من أقرانه الملوك . غاليه يعزى
فضل وضع مقومات نظم وحضارة إنجلترا ونهضتها التجارية في
العصور الوسطى ، تلك النظم التي تفاعلت مع مثيلاتها الخاصة
بالغزاة الدانبيين ، والنورمانديين فيما بعد عصره ، ومنذ
ذلك الحين فصاعداً بدأت انتلاقة إنجلترا من عزلتها القديمة ،
وخرجت سفنها التجارية تشق عباب المحيط شرقاً وغرباً ، حاملة معها
تلك المقومات الحضارية في صورة دساتير ونظم وعلوم وثقافة إلى
القارة الأوربية على اتساعها (١٤) وباختصار أصبحت إنجلترا بفضل
جهود أوفاً مدرسة أوروبا في بداية العصور الوسطى، تلقنها شتى المعارف
والعلوم ، بعد أن كانت تلميذاً متآخراً دراسياً ، يحاول بالكلاد أن
يتعلم ألف باء الحضارة الأوربية من قبل عصر هذا الملك العظيم .

Stenton, op. cit., p. 224.

(١٣)

(١٤) أشارت المراجع إلى أن الانجلوساكسون رغم دمويتهم ، غالباً لهم
تعزيز نهضة أوروبا في شتى نواحي العلوم والآداب . في هذا الصدد ،
وللمزيد عن حضارة الانجلوساكسون وتأثيرهم في الحضارة الأوروبية .

=

وأخيرا ، أنهى بحثي هذا راجيا أن أكون قد وفقت في كشف
حقيقة تاريخ عصر أوفيا ملك إنجلترا العظيم وصولا إلى الحقيقة
التاريخية العلمية الموضوعية المجردة .

« ربنا لا تؤاخذنا إن نسيينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا
به ، واعف عننا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على
القوم الكافرين » .

(البقرة : آية ٢٨٦)

واحرازهم قصبة الشباق على أوريا في هذا المضمار . انظر
Chancellor, V. E., Medieval & Tudor Britain, London,
1976, pp. 28 - 42.

نظير حسن سعداوي : السابق ، ص ٤ ٢٩ وما بعدها
راوس : السابق ، ص ١ وما بعدها

قائمة المصادر والمراجع

- بيان بالمخترفات الواردة في الحواشى •
- مجموعات تتضمن المصادر الأصلية لتاريخ إنجلترا •
- المصادر الأصلية الأوربية •
- المصادر العربية •
- المراجع الثانوية الأوربية •
- المراجع الثانوية العربية والمعربة •
- دوائر المعارف والمعاجم •

- ١٧٩ -

بيان بال اختصارات الواردة بالحواشى

- A. A. E. = Academic American Encyclopedia.
- B. N. J. = British Numismatic Journal.
- C. E. = The Catholic Encyclopedia.
- C. E. D. = Councils & Ecclesiastical Documents.
- Cart. Sax. = Cartularium Saxonum.
- Ch. E. = Chamber's Encyclopedia.
- D. S. = The Penguin Dictionary of Saints.
- D. U. = Dictionnaire Universale d'Histoire et de Géographie.
- E. B. = Encyclopedia Britannica.
- E. H. D. = English Historical Documents.
- E. H. R. = English Historical Review.
- Laud Chronicle (The) ≈ The Anglo-Saxon Chronicle «Ms. E», ed. G. N. Garmonsway.
- N. A. E. = New Age Encyclopedia.
- N. C. = Numismatic Chronicle.
- N. E. B. = The New Encyclopedia Britannica.
- O.C.E.L. = Oxford Companion to English Literature.
- O. I. D. = Oxford Illustration Dictionary.
- Parker Chronicle (The) ≈ The Anglo-Saxon Chronicle «Ms. A», ed. G. N. Garmonsway.

- ١٧ -

P. E. P. = The Penguin Encyclopedia of Places.

R. S. = «Rolls Series», Chronicles of Memorials Documents
of Great Britain and Ireland.

Sh. Camb. Med. Hist. = The shorter Cambridge Medieval History

(أولاً)

مجموعات تتضمن المصادر الأصلية لتأريخ إنجلترا

Anglo - Saxon Chronicle, (The),

— ed. G. N. Garmonsway, London, 1972.

— ed. D. Whitelock, cf. E. H. D. Vol. I, London, 1979.

pp. 145 - 216.

— The Cottonian Collections of Manuscripts, British
Museum (Mss. B, C, D, F, H & I).

Cartularum Saxonicum, ed. G. W. de Birch, 3 vols. & index, London,
1885 — 1893.

Codex Diplomaticus, Aevi Saxonici, ed. J. M. Kemble, 6 vols.,
London, 1839. — 1848.

Councils & Ecclesiastical Documents, relating to great Britain &
Ireland, ed. Hadden W. & Stubbs W., Oxford, 1871.

English Historical Documents, Under the editorship of David C.
Douglas, 12 vols., 1955 ff.

(ثانياً)
المصادر الأصلية الأوربية

Anglo-Saxon Chronicle, (The) trans. and ed. by G. N. Garmonsway, London, 1972.

كذلك اعتمدنا على ترجمة دورشى وايتلوك تحت عنوان :

Anglo - Saxon Chronicle (The) (60 B. C. A. D. 1042), cf. E. H. D., vol. I, London, 1979, p.. 145 — 261.

Alfred (The Great), «The Laws of Alfred», cf. E. H. D., vol. I, London, 1979, pp. 407 - 16.

*Asser's «Life of King Alfred», ed. W. H. Stevenson, Oxford, 1904.
cf. also : E. H. D., vol. I, ed. D. Whitelock, London, 1979, pp. 289 — 303.*

Bede,

Historia Ecclesiastica (Venerabilis Baedae Opera Historica), ed. C. Plummer, 2 vols., Oxford, 1896.

ولقد اعتمدنا على ترجمة انجليزية تحت عنوان :

A History of the English Church and People, trans. with an introduction by Leo Shereby Price, Revised by R. E. Lathen, London, 1974.

واعتمدنا أيضاً على ترجمة دورشى وايتلوك تحت عنوان :
«Ecclesiastical History of the English Nation», cf. E. H. D., vol. I, London, 1979, pp. 639 - 747.

Cartularium Saxonicum, ed. G. W. de Birch, 3 vols., London, 1885 — 93.

- ١٧٢ -

Councils and Ecclesiastical Documents, relating to Great Britain and Ireland, ed. Hadden W. & Stubbs W., vol. III, Oxford, 1871.

Einhard & Notker the Stammerer,

«Two Lives of Charlemagne», trans. with an introduction by Lewis Thrope, London, 1974.

English Historical Documents,

- Vol. I (C. 500 - 1042), ed. Dorothy Whitelock, 2nd ed., London, 1979.
- Vol. III (1189 - 1327), ed. Harry Rothwell, 1 st. ed., London, 1975.

Geoffroy of Monmouth,

«The History of the Kings of Britain», trans. with an introduction by Lewis Thrope, London, 1978.

Gesta Sanctorum Patrum Fontenlensis, Societe de L'Historie de Normandie, Rouen & Paris, 1936.

: اعتمدنا على ترجمة دورشى وايتلوك تحت عنوان :

From the «Acts of the Abbots of Fontenelle» (St. Wandrille), cf. E. H. D., vol. I. p. 34I.

Letter of Alcuin to Colcu (early in 790), cf. E. H. D., vol. I, 192, pp. 840 — 42.

Letter of Alcuin to Offa King of Mercia (787 - 796), cf. E. H. D., vol. I, 195, pp. 846 - 47.

Letter of Alcuin ot the Mercian Ealdorman Osbert (797), cf. E. H. D., vol. I, 202, pp. 854 - 56.

— ٤٧٣ —

Letter of Charles the Great to Offa, King of Meria (796), cf. E. H. D., vol. I, 197, pp. 848 — 49.

Letter of Charles the Great to Aethelheard archishop of Canterbury and Ceolwulf. bishop of Lindsey, (793 - 796), cf. E. H. D., vol. I, 196, p. 847.

Matthew of Westminster,

The Flowers of History, trans. from the original by C. A. Yonge, 2 vols., London, 1938.

Roger de Hoveden,

The Annals, Comprising the history of England & Other countries of Europe from A. D. 732 to A. D. 1201, trans. from the Latin with notes & illustrations by Henry Riley, 2 vols., London, 1853.

Roger of Wendover,

Flowers of History, trans. from the Latin by Giles J. A., 2 vols., London, 1949.

Symeonis Monachi Historia Regum, ed. T. Arnold « Symenis Monachi Opera Omnia », cf. R. S., Vol. II, London, 1958.

ولقد اعتمدنا على ما نشرته دورشى وايتلوك تحت عنوان :

Extracts from Historia Regum « History of the Kings » attributed to Simeon of Durham, cf. E. H. D., vol. I, pp. 263 - 280.

(ثالثاً)

المصادر العربية الأصلية

- القرآن الكريم .

- صحيح مسلم ، ج ٢ ، طبعة عيسى الطبى ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- صحيح البخاري ، ج ٥ ، طبعة الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- المتندرى (ت ٥٦٥٦ / ١٢٥٨) روى الدين عبد العظيم بن عبد القوى :

«الترغيب والترهيب» اصدار مكتبة الدعوة الإسلامية
«شیاب الأزهر» ، ج ٢ ، القاهرة ، (بدون تاريخ) .

- محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ / ١٧٩٢) :
كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، نسخة
تحتوي على تعليلات مفيدة تحت عنوان (قرة عيون
الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين) ،
القاهرة ، بدون تاريخ .

- النويري الكثدي (ت ٥٧٣٢ / ١٣٣٢) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب :

نهاية الأرب في فنون الأدب ، نسخة صادرة عن طبعة
دار الكتب ، اصدار وزارة الثقافة والإرشاد ، الجزء
الثامن عشر ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

— ١٧٥ —

(رابعا)

المراجع الشانوية الأوربية

Allan, J.,

Numismatic Chronicle, London, 1914.

Atiya, A. S.,

Crusade, Commerce & Culture, Bloomington, 1962.

Balog, P. et Yvon, J.,

Monnaies à Légendes Arabes de L'Orient Latin, cf.

La Revue Numismatique, 6 ème Série, t. 1, 1958.

Beltran, p.,

cf. Centennial Publication of the American Numismatic Society, 1958.

Blunt, C. E.,

The Coinage of Offa, cf. « Anglo - Saxon Coins »,
ed. R. H. M. Dolly, Studies presented to F. M. Stenton
on his 80th birthday, London, 1961.

Brondsted, J.,

The Viking, London, 1975.

Brooke, G. C.,

English Coins from the 7th. Century to the present
day, London, 1932.

Cambridge Medieval History (The Shorter), ed. C. W. Previte —

Orton, 2 vols., 11th. ed., Cambridge, 1979 - 82.

- 181 -

Cantor, N.,

The Medieval World (300 — 1300), N. Y., 1968.

Chancellor, V. E.,

Medieval & Tudor Britain, London, 1976.

Fisher, H. A. L.,

A History of Europe, 2 vols, London, 1937.

Hart, C.,

The Kingdom of Mercia, cf. Mercian Studies, ed. Dornier, Lecister, 1977, pp. 43 — 61.

Hobs, B.,

Coins & Coin Collecting, London, 1955.

James, M. R.,

Two Lives of St. Ethelbert, King & Martyr, cf. E. H. R., vol. 32, 1917.

Kent, J.,

2000 Years of British Coins & Medals, British Museum Publications, London, 1978.

Lavoux, H.,

Monnaies à Legéndes Arabes frappées en Syrie par les Croises, Paris, 1877.

Moondin, M.,

Did King Offa accept the Faith of Islam, Ta Ha Publishers, LTD., London, (N. D.).

Prawer, J.,

The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1972.

- ١٧٧ -

Richmond, L. A.,

Roman Britain, London, 1971.

Schulmberger, G.,

Numismatique de L'Orient Latin, Paris, 1978.

Stenton, Sir F.,

Anglo - Saxon England, 3 rd. ed. (Reprinted),
London, 1984.

Wilson, D.,

The Anglo - Saxon, London, 1972.

Wormald, P.,

The Anglo - Saxons, ed. J. Campbell, Phidion Press,
1980, cf. (The Age of Offa & Alcuin), Chapter 59,
pp. 101 - 122.

(خامسا)

المراجع الثانوية العربية والمصرية

- السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) :

تاريخ الدولة العربية ، الاسكندرية ، ١٩٧٥

- بلوك (مارك) :

« مشكلة الذهب في العصر الوسيط » المقالة الأولى

من كتاب بحوث في التاريخ الاقتصادي ، ترجمة

الاستاذ توفيق اسكندر ، اصدار الجمعية المصرية

للدراسات التاريخية ، القاهرة ، ١٩٦١

- ١٧٨ -

- ديفز (هـ و) :

أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة د. عبد الحميد
حمدي ، الاسكندرية ، ١٩٥٨ .

- ديوزانت (ول) :

قصة الحضارة ، ترجمة الاستاذ محمد بدران حافظ،
طبعة جامعة الدول العربية ، ج ٤ ، المجلد الرابع .

- راوس (ول) :

التاريخ الانجليزى ، نقله الى العربية د. محمد
مصطفى زيادة ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

- صفاء خلوصى (الدكتور) :

« محاولة الملك جون صاحب (الماغناتارا) اعلان
الاسلام دينا رسميا ببريطانيا فى القرن الثالث
عشر » ، حديث أذيع من اذاعة لندن يوم ١٨ يناير
١٩٧٩م ، انظر نشرة البرامج العربية لهيئة الاذاعة
البريطانية ، العدد ٣٦٧ ، السنة العشرون ، القاهرة ،
مايو ١٩٧٩ .

- عبد الرحمن فهمي محمد (الدكتور) :

موسوعة النقود العربية وعلم التميّمات (فجر
المسكّة العربية) ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

- ١٧٩ -

- **فيليب حبيب خوري :**
 تاريخ العرب ، المجلد الثاني (الدولة العباسية)
 العرب في أوروبا : إسبانيا وصقلية ، آخر الدول
 الإسلامية في العصور الوسطى) ، ترجمة الاستاذ
 محمد مبروك نافع ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .

- **لومبار (هوريس) :**
 « الأسس النقدية للسيادة الاقتصادية » ، المقالة
 الثانية من كتاب بحوث في التاريخ الاقتصادي ، ترجمة
 الاستاذ توفيق اسكندر ، اصدار الجمعية المصرية
 للدراسات التاريخية ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

- **محمد محمد مرسي الشيخ (الدكتور) :**
 المالك الجرمائية في أوروبا العصور الوسطى ،
 الاسكندرية ، ١٩٧٥ .

- **مصطفى حسن الكhani (الدكتور) :**
 العلاقات بين جنوة والقاطميين في الشرق الأدنى
(١٠٩٥ - ١١٧١ / ٤٨٨ - ٥٦٧) ، الاسكندرية ،
 ١٩٨١ .

- العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي
(١١٧١ - ١٢٩١ / ٥٦٧ - ٥٩٠) ، الإسكندرية ،
 ١٩٨١ .

- **نظير حسان سعداوي (الدكتور) :**
 تاريخ إنجلترا وحضارتها في العصور القديمة
 ولوسطى ، القاهرة ١٩٥٨ .

— ١٨٠ —

(سادسًا)

دوائر المعرف والمراجع

- Academic American Encyclopedia, Princeton, New Jersy, 22 vols., 1980.
- Catholic (The) Encyclonia, an International work of Reference on the Constitution, Doctrine, Discipline and History of the Catholic Church, 15 vols. and index, Special edition under the uspices of the Caleman Association, London, (N. D.).
- Chamber's Encyclopedia, New Revised edition, vol. X, London (N. D.).
- Dictionnaire Universale d'Histoire et de Geographique, Paris, 1884,
- Encyclopedia (The New) Britannica, 36 vols, London, 1943 - 74.
- New Age Encyclopedia, 20 vols., London, 1980.
- Oxford Companion (The) to English Literature, Compiled & edited by Sir Paul Harven, 2 nd. ed., Oxford, 1938.
- Oxford Illustration Dictionary, vol. II, Oxford, (N. D.).
- Penguin Dictionary (The) of Saints, ed, D. Attwater, London, 1975.
- Penguin Encyclopedia (The) of Places, ed. W. G. Moore, London, 1971.

تم والله الحمد والمنة

اللوحات والملحق والخريطة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ١٨٣ -

لوحة رقم (١)

الظهر



الوجه



دينار الملك أوفا الذهبي
(بتصریح من المتحف البريطانی بلندن)

- ١٨٥ -

لوحة رقم (٢)

الظهر



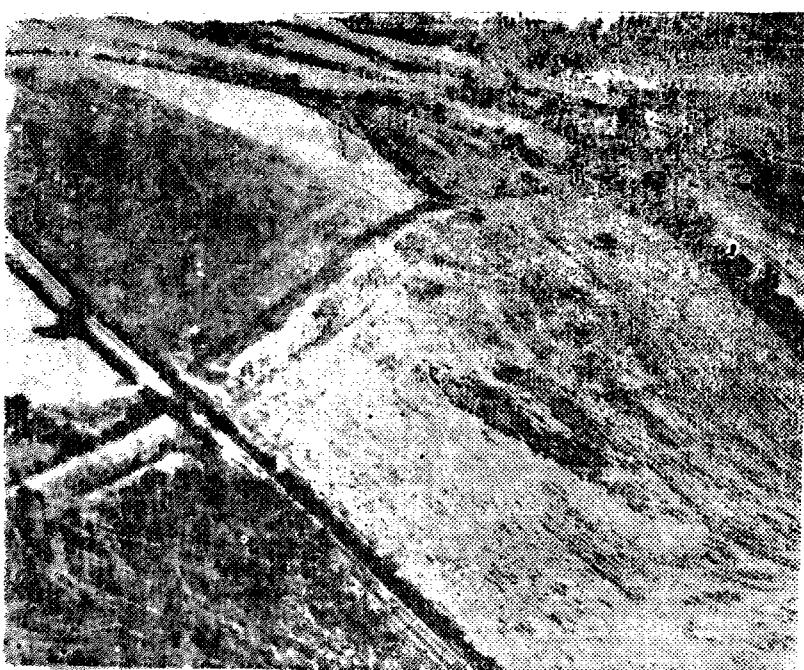
الوجه



الدينار العباسى الذهبي ، الذى ضرب أوفقاً ديناره على طرازه
(بتصریح من متحف الفن الاسلامی بالقاهرة)

- ١٨٧ -

لوحة رقم (٣)

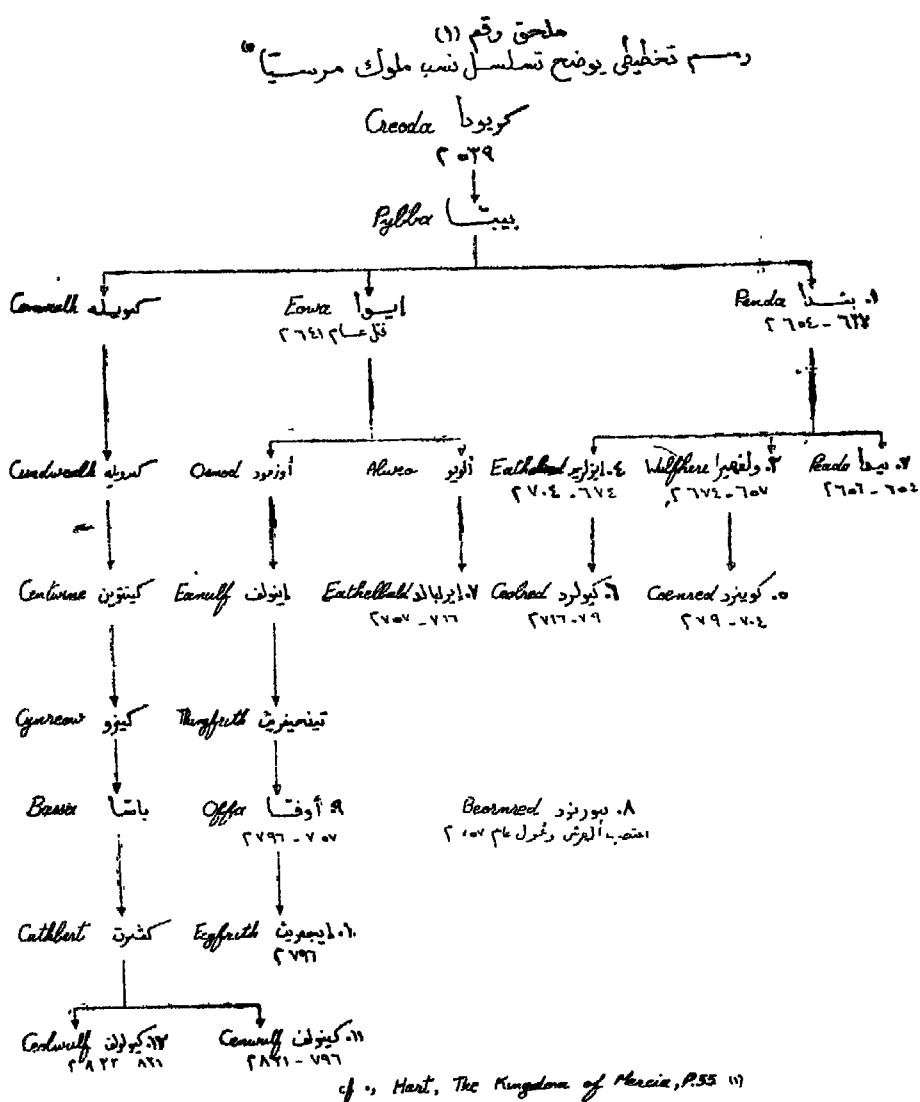


سـور أوفـا العـظـيم

Mainstone (صورة من الجو على بعد ثلاثة أميال من مينستون)
في مقاطعة شوربـ (Shropshire)

Wormald, op. cit., p. 121 نـقـلا عن

— ١٨٩ —



- ١٩١ -



— ١٩٢ —

وَقَعْتُ أَخْطَاءً مُطْبِعَيْةً ، اعْتَذِرْ لِلقارئِ الْكَرِيمِ عَنْهَا ،

وَأَصْوَبْ مَادَّتِي مِنْهَا ، وَأَدْعُ عَيْرَهَا لِفَطْنَتِهِ .

الصواب	الخطأ	س	ص
نشرا	نشر	٥	١٠
أسلفنا	أسلفا	٣	١٥
رأسه	راسه	٢٠	١٧
المالك	المالك	١٩	٢٠
سـكـ	سـلـكـ	٩	١١٥
قرارة	قراره	١	١٢٢
باقامة	باقمه	١٣	١٣٩

- ١٩٣ -

محتويات الكتاب

رقم الصفحة	المحتوى
٢١ - ٥	الفاتحة
٥٤ - ٢٣	دراسة نقدية تحليلية لام مصادر البحث ومنابعه

الفصل الأول

أوفاً وتوحيد ممالك الأنجلوساكسون (٧٥٧ - ٧٩٦)

الحوال بريطانيا قبيل عصر أوفا ، وظروف توليه عرش مرسيا عام ٧٥٧م - حروب أوفا وجهوده الدبلوماسية لتوحيد ممالك الأنجلوساكسون ، ونتائجها - بعثة البابا أدريان الأول إلى إنجلترا عام ٧٨٦م ، أسبابها ونتائجها - مصرع إيثلبرهت ملك إیسٹ انجلیا ، وذبحه على يد أوفا عام ٧٩٤م ، دلالاته ونتائجها - ردود فعل البابوية وشارمان المضادة لسياسة أوفا ، أسبابها ونتائجها .

الفصل الثاني

أوفاً ودوره الحضاري (٧٩٦ - ٧٥٧)

أوفا باعث النهضة الانجليزية - دور أوفا في النهوض بالتعليم والثقافة والجيش ، واصلاح النظم التشريعية والمالية والاقتصادية - الاهتمام بالتجارة الخارجية وتنشيطها بعقد الاتفاقيات التجارية مع

- ١٩٤ -

المحتوى	رقم الصفحة
الفرنج والخلافة العباسية - التغييرات التي استحدثها أوفا في العملات الأنجلوسаксونية ودلائلها الهامة ـ دينار أوفا الذهبي ذو عبارات التوحيد الإسلامية والآراء المختلفة حول أسباب ضربه . . .	٢٠
الفصل الثالث	
سور أوفا العظيم ودلاته	١٣١ - ١٥٢
(٧٨٤ - ٧٩٦)	
تخطيط وطبوغرافية السور - حروب أوفا ضد البريطانيين في ويلز ونتائجها - مختلف الآراء حول أسباب البناء ، ودلائلها ، اهمال المصادر والمراجع الإشارة إلى ظروف موت الملك أوفا الماجي ، ومكان دفنه ، ودلاته - محاولة الملك هنا (جون) اعتناق الإسلام ، ترسماً لخطي الملك أوفا من قبله ، ودلائلها ونتائجها . . .	١٥٣ - ١٦٦
الخاتمة	
الجديد في الموضوع ، وأهم الأفكار والنتائج التي تمكن التوصل إليها - أهم الآراء والمشاكل التي تم بحثها . . .	١٦٧ - ١٨٠
قائمة المصادر والمراجع	
بيان بالختصرات الوارد ذكرها في الحواشى - مجموعات تتضمن المصادر الأصلية لتاريخ إنجلترا - المصادر الأصلية الأوربية - المراجع الثانوية الأوربية - المراجع الثانوية العربية والمصرية - دوائر المعارف والمعاجم . . .	

- ١٩٥ -

رقم الصفحة	المحتوى
------------	---------

اللوحات والملحق والخريطة

لوحة رقم (١) :

دينار الملك أوفا الذهبي (بتصریح من المتحف
البريطانی بلندن)

لوحة رقم (٢) :

الدينار العباسی الذهبی ، الذى ضرب أوفا ديناره
على طرازه (بتصریح من متحف الفن الاسلامی
بالمقاهة)

لوحة رقم (٣) :

سور أوفا العظيم

ملحق رقم (١) :

رسم تخطيطی یوضح تسلسل نسب ملوك مرسیا.

خريطة :

انجلترا فی عصر الملك أوفا (المسالك السبع
الهیبتارکی)

رقم الارشاد : ٤٠٩٠ / ٨٦

مطبعة الإشعاع الفنية
لـ (الباحثون، الناقدون، المؤمنون) (الروابي)
المغيرة البلد - بيروت - شارع مسجد الأوقاف



General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

